

## تصدير

أخذت الإستشارة الثقافية التي بادرت بها وزارة الثقافة وهيكلها الجهوية مظهر المنابر الفكرية التي مكنت العديد من المبدعين والمهتمين بالتسيير الثقافي من إبداء آرائهم في خصوص تنشيط القطاعات الثقافية التي يرون في أنفسهم حسن الاطلاع للفت نظر المصالح المعنية إلى جوانب النقص لتدراكها وكيفية الإفادة من الخبرة المتوفرة لمزيد إحكام التصرف والفاعلية والجدوى. وهذا الموقف الاستشاري يضع كافة المبدعين في خانة المطالبين بالمساهمة في تصور أفضل السبل لتفعيل الطاقات الإبداعية، وهو يتطلب من سلطة الإشراف أن تراعي في مرحلة مواءمة، الآراء التي أمكن التعبير عنها سواء، من خلال اللقاءات التي تمت والتي مازالت متوالية أو تلك التي تضمنتها الاستجابات التي بذل الكثير من الجهد في تأمين وصولها للمبدعين وكذلك تأمين استرجاعها مضمنة بمواقفهم من العديد من القطاعات والدوايب الثقافية.

والأكيد أن هذه الاستشارة ليست الأولى في هذا القطاع كما أنها لن تنهي الجدل حول أنجع السبل لتأمين، الغذاء الفكري، لهذا الشعب وتأمين، وضع أفضل، للمبدع. كما أن ما جاءت به هذه الاستشارة من تعبير ومواقف من طرف أهل الفكر، وإن كانت غير ملزمة لسلطة الإشراف على القطاع الثقافي، إلا أنها يمكن أن تؤخذ على أنها مؤشرات تعكس هموم المبدعين وهي تصلح لكي تكون قاعدة لبرنامج عملي يضمن مزيد الجدوى في المجال الثقافي ويمكن الإنتاج الفكري من فاعلية أكبر وإسهام أشمل في تناول إشكاليات التحول الاجتماعي.

وببقى الهاجس الأساسي الذي يسكن المبدع في المجال الأدبي والذي تعبر عنه الكثير من المواقف التي وقع الإصداح بها خلال هذه الاستشارة الثقافية، متمثلا في البحث عن تأمين اندراج هذا الصنف من الإبداع ضمن الدورة الثقافية سواء، في شكله الأصلي أو بعد تناوله في مرحلة مواءمة، من طرف وسائل التبليغ السمعية البصرية الأخرى. وهذا الموقف ينبع من صميم إيمان المبدع في المجال الفكري أن دوره في تشخيص حالة المجتمع الذي ينتمي إليه أو استشراف تطلعات هذا المجتمع لمستقبل أفضل، لا يقل أهمية عن تلك الخيارات التي يتقدم بها رجل الاقتصاد أو رجل السياسة أو بقية الأصناف الاجتماعية الأخرى المدعوة لوضع الخطط المستقبلية ومعالجة إشكالات الأوضاع الحالية.

ولا أحد يمكنه أن ينكر أن الإبداع الأدبي يبقى في جانب متميز منه، ذاكرة المجتمع، يسجل ما يحدث من مواقف تتعلق بمصير المجموعة، متجاوزا الذاتي الفردي لكي يفتح على ما يهم المجموعة، يسجل الأحداث والتحويلات ويشارك في وضع التصورات والتطلع للأفضل. ولا مجال في مجتمعات اليوم للحديث عن مواقف، الفن للفن، والجلوس على الربوة.. وقد أصبحت الأحداث العامة تسعى لطرح مشاكل، القرية الكونية، وعولمة

## التفكير والثقافة..

وإن من أؤكد ما يبقى يحرك المبدع الأدبي في جمع أوضاع المجتمعات التي تعاني التحولات الاجتماعية، هو صدى ما يعبر عنه من أفكار وكيفية تبليغ تلك الأفكار بحسب وسيلة التعبير التي يختارها لأوسع قطاع ممكن من تركيبة المجتمع الذي ينتمي إليه. وفي مجال الكتابة تبقى إشكاليات النشر والتوزيع في طليعة المواقف التي يعرضها كل من وجهة نظره، ثم تأتي بعد ذلك النصوص التشريعية التي تمكن المبدع الأدبي من موطأ قدم في الساحة باعتباره أحد أطراف الدورة الثقافية الأساسية.

وإذا كان تراجع دور النشر العمومية خلال العشرية الأخيرة قد ترك فراغا كبيرا تسعى دور النشر الخاصة إلى تعويضها فيه فإن العلاقات التي قامت بين المبدع والناشر غير سليمة في كل الحالات ولا تخلو من مواقف الاستغلال الفاحش. وهي مازالت في حاجة إلى مزيد التوضيح والتوثيق بالنصوص التشريعية. فالمبدع يعتبر أن في تلك العلاقة حيف يقلل من جهده لفائدة الناشر والموزع في حين أنه أساس دورة الكتاب الأدبي ومنطلقها والعنصر الفاعل في توفير مادتها. ولعل هذا الجانب يرتبط أيضا بالوظيفة الاجتماعية للمبدع التي ينظر من خلالها إلى نشاطه الفكري على أنه هواية لا ترقى إلى النشاط الأساسي الذي يضمن له القوت. وإن كانت هذه النظرة تصدق باستقراء الواقع إلا أنها ليست الأسلم للتشجيع على تنمية جانب الإبداع. وإذا ما انضاف إلى هذا الموقف تهميش المبدع ضمن دورة النشر والتوزيع، فإن ذلك يعمق أكثر أوضاع «فراغ الساحة الثقافية، ويحدث انخرافا في الذاكرة الجماعية تحسه الأجيال الموالية أكثر مما تبرز آثاره في الواقع المعيش».

اليوم يجد المبدع الأدبي نفسه مدفوعا إلى تجاوز موقف «الكتابة، إلى الانفتاح على مشاكل النشر والتوزيع والتحول إلى «مقاولة للنشر» للتمكن من المرور إلى مختلف حلقات الدورة الثقافية الأخرى بما في ذلك «التحويل السمعي البصري، لمنتوجه الثقافي». وقد أصبحت السوق تفرض عليه ضرورة اعتبار منتوجه الثقافي «بضاعة، تخضع للتسويق والمردود المادي، لم يجد الحل لإشكالاته إلا في تقمص دور الناشر نظرا لتوفر النصوص التشريعية التي تضمن لهذا القطاع الحضور بشكل فعال على الساحة. ولكن هذا التحول لا يجدي نفعا لأن ما تتطلبه السوق ليس مجرد «مجهود للهواة، في مجال النشر الأدبي، بل مؤسسات ذات سياسة واضحة المعالم تندرج ضمن التوجهات الثقافية البعيدة المدى».

على أمل أن تمكن هذه الاستشارة الثقافية من تبين أوضاع لمختلف أدوار أطراف الدورة الثقافية، يبقى المبدع الأدبي ذلك المنتج الذي يسعى من خلال مؤسسات المجتمع المدني، يبحث عن مجال أوسع للكلمة التي يريدتها تتجاوز الراهن لكي تكون خير دليل لاستشراف المستقبل.

قصص

## اللهو الصفر

بقلم : البشير بن سلامة

في عدد من أعداد مجلّة «الفكر» (عدد 9 - ماي 1972 - السنة 17) نشرت صفحات من عمليّن : الأوّل بعنوان «العابرون» وهي الرباعية التي اكتملت بصور أجزائها الأربعة (عائشة 1982 - عادل 1991 - علي 1995 - الناصر 1998) والثاني «اللاهون» ولم تكتمل بعد أركانه، وربما لن يكتب له الاكتمال، إلا إذا بقيت في النفس بقية قادرة على إنهائه. على أنّ ركنا منه مكتمل بعنوان «اللهو الصفر» انتهيت من كتابته أخيرا بعد أن تناوشته السنون بالزيادة والحذف والتغيير.

هي رواية تحكي قصة ما دار بينهما من حوار، وهما في سيارة. ثم تعرّضا لحادث قادهما إلى المستشفى. «شبل» كان يخطو خطوات حيثة نحو الموت. انتظمت في غيبوبته أطوار رحلته عبر عالم الأموات حيث يلاقي «شهرزاد».

الرواية ذات ثلاثة أوتار. تنقسم إلى جزأين : دوزنة وضرب. الجزء الأوّل أقسامه ثلاثة : احتضان ثم جسّ ثم إصلاح. أما الجزء الثاني فيحتوي على أوتار ثلاثة. وفي انتظار أن يكتب لهذه الرواية النشر رأيت أن أخص مجلّة قصص المناضلة من أجل أدب حي أصيل بهذه الصفحات.

البشير بن سلامة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في تلك اللحظة التي كان فيها الجو متوترا بين الصديقين، منبثا بشجار عنيف مثل العادة، يدور لا حول المبادئ التي يتفق عليها الاثنان بل يتمثل في اصطدام مزاجين، وتناطح طريقتين في الحياة، إذ بهما يشعران براحة تامة، ويتعمان باتساع المدى الذي كان يفصل بينهما وبقوة تجذبهما إلى فوق ودائما إلى فوق. لكنهما يطفوان في فضاء مظلم. لكنهما يحسّان بأنهما أخف من ريشة في مهب الريح، وأنهما أهدأ بالاً، وأنّ راحة يحفّ بهما جوّ رائق. فلكنّ كلّ منهما يطير بجناحين ويحس بأنه خارج من نفسه طاف إلى أعلى السقف وحوله أطباء يلتفون بجسده الذي لا حراك به. ثم يتصور نفسه وقد امتصته ثقبه مظلمة وهو مدفوع إلى اختراقها بسرعة مذهلة مع حالة هي الهدوء الأكمل والراحة الداخلية القصوى. قال الصديق :

- انظر إلى هذا النور البعيد إنه يشبه النجمة في الأفق، إنه يعظم ويعظم. هو الشمس إذن، ما أكبرها وأسطع نورها وكيف أمكن لنا النظر إليها بدون أن يتحرر لها بصرنا ؟...

- غريب أمرنا. كنّا في ظلام دامس يطارد فيه الليل النهار، إذا بالوضع ينعكس،

فيصبح النهار متعقباً لليل، تماماً مثلما نشهد ذلك عند امتطاءنا لطائرة الكونكورد وهي متجهة إلى أمريكا.

- أنه نور أبيض.

- نعم إنه نور كأنه يلتهم كل ما في الضمير، ما ألدّه. هو يشبه محبة قديمة. هو بلغني من كل مكان. إنه الوجد الذي لا يوصف. أنا أشعر أنني في الكون. أنا تبع من الحب والمعرفة الشمولية. هي لا حد لها.

- ها نحن نقترّب من الضوء...

- دائماً أنت بطيء. الذهن...

- ألم تكن في السيارة تنجاذب أطراف الحديث وعلى وشك الشجار؟ ألم أقل لك أن ما يحدث في بلدنا سيقلب كل شيء؟ إنّ العوج السائد سيحوّل طبيعة المخلوقات. ألا ترى أننا أصبحنا من الطير وليس لنا أجنحة كجعفر الطيار تماماً؟

- نحن في الفضاء الفسيح، في المدى الأوسع، ألا تشعر براحة تامة. إنك ما زلت منجذباً إلى دركات حضيض هموم النفس الصغيرة. ألا ترى هذا النور الطافح حولنا؟ إنه كالبحر الهادئ نسبح فيه يبهرنّا ألنّ ساطع ولا أشعة نافذة. لم تر عيني نورا مثله أروح للنفس وأهدأ للعين. ألا تشعر بالمعرفة الشمولية الكبرى بالحسّ الجمالي كيف يحتد في النفس، والنظر كيف يبعد مداه، حتى أنني أنفذ إلى نفسك فأعرف ما فيها، وأتوق إلى شفافتها ممّا بها. ألا تحسّ بأنك تجدد وأنّ همتك المصروفة إلى التملّك المادي تتلاشى. حتى الموت أصبحت لأعيا به، لا معنى له. إنّ نفسي تعظم وتعظم حتى أراها الآن وهي مسكونة بشفقة لا أعظم منها شفقة في إمكانها أن تحوي كل الكائنات، عجيب كيف أشعر بأننا أعلى كأنه الإله يكمن في.

وفي ذلك الوقت يسمع شبيل صوتاً يقول: هذا نور السماوات والأرض. ثم يترسل: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور أي الذي تنكشف به الأشياء، وتنكشف له وتنكشف منه، وهو النور الحقيقي، وليس فوقه نور. قال الصديق:

- لم أسمع شيئاً.

- انظر. انظر. إنّ البراق يقترب منا. إنّي أتبينه. هو دابة دون البغل وفوق الحمار. هذا مركوب الأنبياء. جعل لهم ليكونوا في أمن وسلام. إنه أبيض مضطرب الأذنين. هو كوجه الفرس وعرفه كعرفها، وقوائمها كقوائم البعير. ألا ترى ذنبه كقوائم البقر؟ إنه يصعد ويقترب. رجلاه تطولان ويدها تقصران.

- إنه شبيه بأحد الخزائير التي قطعت علينا الطريق السريعة. أولى بك أن تركبه حتى يعرج بك إلى عالم اللهو.

- الخزير رمادي إلى سواد أمّا هذا فإلى بياض.

- مسكين أنت يا شبيل دائماً تمنّي نفسك بالنبوة حتى في الغيبوبة. نحن في غيبوبة ما في ذلك شك. إنّ الذي تراه ليس البراق. احذر إنه في هيئة كبش. إنه أملح ليس

أبيض. هو أبلق بسواد وبياض، إنه الموت يا شبيل. ألا تتذكر ما قاله لنا الشيخ الفقيه من أن ملك الموت يتصور للإنسان في صورة كبش أملح يجمع بين البياض والسواد، ويدل أحدهما على النور والضوء، والآخر على الظلمة رمز التناقض : الخير والشر وامتزاجهما في الحياة الدنيا.

- أنا أحسّ بشي. يجذبني إلى أسفل. إني إقترب من البراق. سأركبه حتى لا أسقط.

- لا يا شبيل لا تقترب منه، إنه الموت. إنه الموت. (صارخا).

- هات يدك. تحامل على نفسك واصعد إلى فوق. (راكبا الكبش وماذا يده إلى

صديقه، مناديا إياه).

- لا أنا لست مغرورا (ها ويا بسرعة إلى أسفل).

- دائما أنت هكذا لا تعرف معنى للصداقة. تخذل الصديق وتتخلى عنه وتجد في

كل مرة مبررا لذلك. فعلى الدنيا السلام إذن.

**ضرب**

«... ثم ضرب ضربا فما سمعت أجود منه ثم اندفع الفتى يغني»

المسعودي

**استفتاح**

شبيل : لقد خذلني صديقي وبقيت وحدي في هذا الفضاء الفسيح. فمع من سيكون حديث الروح للروح. وما الصداقة إذا لم بكل هدفها الكشف عن الروح وملازمتها والنفاذ إلى جوهرها والأ كانت كذيل الثعلب لا تجمع إلا الحسك. ثم إني لا أعرف أين يطير بي هذا؟ <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الكبش : كنت عابر سبيل في الدنيا وهي الحياة العاجلة الفانية، أما الآن...

شبيل : ومن أنت ؟ كبش وتكلم ؟

- أنا ملك الموت.

- أو متّ أنا ؟

- إنك تخلصت من عذاب الحياة الدنيا، والآن أنت في السماء الدنيا. ألا ترى أهلها ؟

صحيح ما تزال عينك لم تغمضهما تماما عن ضوء الأرض. ستتعود على نور السماء، وعند ذلك تقدر على تبيين أهل السماء الدنيا وهم الجن. هم لا ينزلون إلى الأرض بل يرسلون أولياءهم. هم السفرة. إن البشر في الأرض غير قادرين على رؤيتهم. ستبين قصر نظركم أنتم أهل الأرض. أنت عندما سيبعث في عينيك نور ولا كالنور، ستكون قادرا على التقاط ما هو غير مرئي تماما، وكأنه منبعث من نوع من الأجهزة يشبه أحدث ما عند البشر من التلسكوبات التي تصوّر كون الأشعة المرئية. لكم أضحك من علم البشر عندما يعتقدون أن عيونهم ليست إلا مجرد صفحات تعكس نور الشمس بينما هم يسمون بأن عيون الحيوان ينبعث منها نور يجعلها قادرة على الرؤية في الظلام. وما عرفوا أن عين الإنسان ينبعث منها أيضا نور ولا كالنور البهيمي. أما أنت فسيقذف

في خلايا دماغك كلها شعاع القوة والإدراك، والنشاط الذي لا يني. وستكون لك طاقة عجيبة قادرة على نقل الذبذبات والإشارات بالاعتماد على الذبذبات الضوئية عوضا عن الإشارات الكهربائية. كل هذا أساسه نوع من الألياف البصرية التي تعوض الكابلات النحاسية عندكم. ولعلك عند افئلات نفسك كما تقولون كنت مفتوح العينين، فبقي ضوء الدنيا عالقا بهما حتى بعد أن أغمضنا بإمرار اليد فوقهما، لا عليك فسيعالج هذا الأمر بسرعة. وحتى إذا وجدت في جينات خلاياك عاهات وشوائب وراثية أو مكتسبة فإن فينا من هو قادر على منابقتها بصورة تصبح سليمة لا شائبة فيها. هو ما بدأت أنتم البشر تجربونه ولكن خوفي عليكم ومنكم أن تصنعوا بذلك كائنات مسموخة معقدة تزيد من شروركم فنحتار من تخليصكم منها.

- وعند ذلك تعجز عن الضحك منّا. برّبك كيف تضحك وعهدي بمثلك يثغو وأغلب الظن أن البشر بعلمهم وبقدرة القادر سيدفعون رب الكائنات إلى الاستعاضة عنكم بملائكة أرقى وأوفق وألطف وأكثر رقة.

- أو تمزح لكأنك ما تزال متأثرا بباطل أهل الدنيا، بلهوك.

- المعذرة لقد نسيت أنه لا مجال للمزح مع الموت، وأنتك الجد القاتل. ثم ما الذي أنتظر الآن بعد أن سلبتني روعي أيها الرفيق الثقيل؟

- ما تزال ماضيا في غرورك. لا تتسرع. وتحسب أن كل شيء انتهى، وأنتك لن تخسر شيئا، فترك لمائك يرتع في أهل السماء. الزمن في الآخرة هو غير الزمن في الدنيا. فليس الزمن كما تعتقدون دائريا صرفا فيه عود على بدء. أبدأ وفيه تداول بين الحياة والموت. بل هو خطي لا يوضع لمبدأ التكرار والتماثل هو لا تناقض فيه. هو الحياة الآخرة فعلا لا موت فيها إلا بموت الموت.

- أو ستموت أنت أيضا؟ يوجد إذن ملاك أقدر منك. في صورة أسد مثلا. ومن هو الذي سيميته بعد ذلك؟ هو الدور والتسلسل إذن.

- لسا مثلكم. بناكم القادر على ثنائية الجسد والروح أما نحن فقد خلقنا صبرة واحدة.

- الأمر بين لا فائدة في الإلحاح. أين أنت من الروح؟

- أما تزال تهذي. كل ما تقوله محسوب عليك. نعم سأذهب يوم لا يعود حي على وجه دنياكم. يوم يدمر الإنسان الأرض والكواكب. ألم تقرأ ما جاء في الحديث: «يوتى بالموت إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، وهو كهينة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة. فيشرّبون وينظرون. فيقول، هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكل قد رآه.

- ولماذا ينادي أهل الجنة فقط؟

- لا تقاطعني. هذا حديث نبوي شريف. أنت متماد في غيئك. ستلقى حسابك. ثم يقول المنادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

- أتروون أنتم الحديث مثلنا وتحفظونه، وتعرفون الصحيح منه والحسن والسقيم والشاذ والضعيف والقدسي والمتصل والمدرج والمرسل والمرفوع والمشهور والمضطرب والمعضل والمعلق والمقطوع والمنفصل والمنقطع والمنكر والموضوع والموقوف.

- إني أخاطبك بلغتك وأواجهك بمراجعتك. إذ كيف يكون في إمكاني التغلب عليك والقبض على أنفاسك إذا أنا لم أكن عارفا بكل خفاياك. لتفهم هذا الأمر وتبينه على حقيقته أسوق لك مرجعا من مراجعتكم، أنتم أهل عصركم في دنياكم. لكأنني أسوب أطعم ببرمجيات قبل خروجي إلى مهمتي، وتكون هذه مناسبة للشخص الذي أنا موكل بتخليصه من الدنيا. فلا تخفى علي خافية منه وخصوصا فقط الضعيف فيه.

- وما هي نقط ضعفي ؟

- هذا سر من أسرار رسالتي لا أبوح بها إلى أحد.

- ولماذا ؟ ألم ينته كل شيء بعد قبض روحي. ألم تزل كل حيرة فيما نعيم دائم أو عذاب دائم. أليس الذي أنهك الانسان وأشقاه في تلك الحياة الدنيا هي الحيرة أمام المجهول، أمام ما يخبئه الغد، أما ما يخبئه الانسان لأخيه الرنسان عندما يحيك له المكايد، ويتلصص عليه ويحسب له أنفاسه، ألا تعرف أن في قدرة الإنسان أن يتعقب أخاه الإنسان حتى عند اختلاعه بخويصة نفسه.

- لم ينته كل شيء. أتت الآن في الموت الأول بعد حياتك الأولى. ثم ستحيا مرة أخرى مع سؤال الملكي، وتموت ثانية بعد السؤال، ثم تحيا عند بعث الموتى يوم القيامة والنشور. ثم تموت ثالثة عند نقاش الحساب، ثم تحيا وعند ذلك أذبح أنا، وتنتهي في اخر الزمر حيرتك فيما نعيم دائم وإما شقاء دائم.

- ومن يذبحك ؟

- هذا ما لا يجوز لي التصريح به.

- تنتظرنني إذن محن أخرى وعذاب آخر.

- أنت وما قدمته بذاك في دنياك.

- بربك، ونحن قد أنس بعضنا ببعض، ممن ساكون من أهل الجنة أو النار ؟ ثم لم يقل لنا أن الله غفور رحيم. تصبح الأمور نسبية عند ذاك. ألم يأتك خبر قول الشاعر :

لا تحضر العفو إن كنت امرأ حرجا      فإن حظركه بالسدين إزراء

- لقد تجاوزت كل الحدود. وتستشهد بأبي نواس. برجل ماجن. لم أر كائنا جلب معه المزح إلى الآخرة مثلك. الموت جد يا هذا، لا لهو فيه. ستحاسب على استهانتك بي وسأرفع شكوى إلى العلي القدير لينظر في الأمر.

- أراك تجاوزت أنت أيضا تعاليم الدين. لم أسمع بإنسان يحاسب على ما فعله في الآخرة وهل في إمكانه أن يفعل شيئا وهو ميت ؟

- أنت ميت حي. وبعد هذا كأني بك وبالإنسان في عصرك ينظر إلى الكباش نظرة

استنقاص. ألم يعوّض الله إسماعيل بكبش؟ فوضع الإنسان في مرتبة الكبش.  
- فلتعذرني، يا حضرة الكبش، بل أيها الموت الجليل. لقد أصابني جزع مما قلت لي. وتبين لي أنّ الإنسان خلق ليشفى في الدنيا والآخرة. هذا قدره. رغم أنك قلت لي إن الزمن ليس دائريا. وإذا به دائري كأقصى ما تكون دائريته. هو دور وتسلل وتكرار وتمائل. هو نفق عذاب لا يعرف له منتهى.

- لا (غاضبا). قلت لك هو دائري في أوله وخطي في نهايته، عندما يتوقف التداول بين الحياة والموت، وينتهي الحساب، وتنتهي الفتن ويصير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

- أنتم الملائكة (متعجبا) تغضبون مثلنا. ولكن كم يدوم هذا؟

- لا يمكن (غير مبال بملاحظة شبيل حول غضب الملائكة) مقارنة الزمن عندنا بزمّنكم. الفترة عندنا تدوم قدر عمر الدنيا بعشرات المليارات، إنّ وحدة الزمن في محيطنا ليست السنوات ولا سرعة الضوء. بل هي لحظة من لحظات الآخرة. أما مفاهيمكم المتعلقة بالماضي والحاضر والمستقبل فهي أضحوكة الزمان عندنا. لعب الأطفال. لكن الزمن يتوقف. هل شعرت يوما في دنياك أن الزمن توقف. لا أعتقد.

- أشعر بشي. ما من هذا مع الحبيب. أو أفتي أريد من الزمن أن يتوقف.

- ليس هذا. ذاك منك مجرد وهم. ولكنه عندنا يتوقف. ويصبح المخلوق هادئ البال، لا قلق ولا حيرة ولا ذكريات تشوش عليه اللحظة، ويكون تماما في حالة شبيلة بحالة المحب الذي ينعم ببقاء حبيبه.

- عجيب وأنتم تعرفون أيضا الحب.

<http://Archivebe.net>

- لا أنا أحدثك حسب مراجعتك. إن المحبة والمعرفة الشمولية هي السائدة عندنا.

- غريب أمرك (ويسرّ في نفسه أشياء تتعلق بغرابة كلام مثل هذا يصدر عن

كبش).

- وما وجه الغرابة؟ (لا يفوته ما أسر شبيل في نفسه). ثم ألا تنتهي من الحديث

بمنطلق أهل دنياك، وكأنك مواصل للهرأ الذي كنتما فيه، أنت وصديقك، في السيارة.

لقد أضحكتماني كثيرا وألهيتماني بفلسفة اللهو عن مهمتي وكدت أرجئ عملي.

- كنت أظن (متمتعا دون أن يسمعه الكبش) أن يكون لك منطق آخر مخالف.

- ماذا؟

- كيف؟ هل في استطاعتك أن ترجئ ما أمرك به رب الكائنات؟

- لا إنّ لي دائما متسعا من الوقت هو من تقدير رب الكائنات.

- ويرأوغ أيضا (وقد أسرها في نفسه).

- وهذا المتسع هو بالنسبة إليكم عقدا أو عقدين أو أكثر هو بالنسبة إلينا طرفة

عين كما تقولون. ثم إنّ ما خصكم به رب الكائنات من دون كل المخلوقات من قدرة

على التصرف والاستنباط بحمل بين طياته السماح لكم بتخطي سهامي والإنفلات مني



كما فعل صديقك.

- أو لم يمت ؟ عرفت أنه خذلني . (في نفسه) كبش مخادع نَمَام أيضا .  
- لقد راوغني وهو الان في غيبوبة ، في سبات بالمستشفى في نفس الغرفة التي  
أنت فيها مسجتي الان .  
- أنا مغفل إذن .

- إذا أردت بلفتكم طبعاً . أمّا إذا نظرت إلى الأمر نظرة أخرى .  
- عجيب ! (صائحا ومقاطعا الكبش) بدأ الفضاء . يعمر . إنني أرى خلقا كثيرا  
يتماوج في هذا الفضاء . وألمح جزيرة هناك شامخة البنيان عامرة بأهلها .  
- بدأت تنظر بأعين أهل الآخرة . سأترك هناك حتى يأتيك من سيقودك إلى  
مصيرك . ولتعلم أنك الان في الحياة الدنيا مسجى على سرير في المستشفى في نفس  
الغرفة التي يعالج فيها صديقك . أنت لا حراك بك في الظاهر والأطباء قد يشعرون  
إنعاشك وأهلك خفوا إليك باكين جزعين .

لم أفهم بعد زمنكم . فمرة هو طويل ومرة أخرى قصير . وأنا أشعر أن الفترة  
التي بدأت من وقت مغادرتي السيارة إلى الآن هي عمر بأكمله . وتقول لي إنني مسجى .  
أي أنه لم يمض على موتي بضع ساعات من الوقت الدنيوي .

- ستعود على قياس الزمن الحقيقي . ستبقى مدة من الزمن في هذه الجزيرة  
تتصرف فيها وكأنك ما تزال في الحياة الدنيا . هو امتحان آخر . أمّا أنا فلن تراني إلا يوم  
أساق إلى الذبح .

- أي منطق هذا . أنا حي أم ميت ؟  
وسرعان ما يحط الكبش في مكان كأنه مطار الجزيرة ويقوم بحركة لم يفتن  
إليها شيبيل فيقع راكب الكبش على رجلين وينظر إليه وهو يطير بدون جناحين . متبينا  
كل جزئياته مسرّاً في نفسه أنه لن يكون مغفلاً في المستقبل ، وإذا كان ثمة موت ثانٍ  
وثالث فلا بد من ملك يقوم بتنفيذ هاتين الميتين وهو الوحيد المكلف بذلك . تعلم  
المخادعة من البشر . حتى الملائكة أصابها الدنس من جراء الاحتكاك بالبشر المدنس .

قال شيبيل محدثاً نفسه :

- لن يخدعني مرة أخرى

سار شيبيل خطوات في مطار الجزيرة . وجده قفراً لا نائمة فيه . وإذا به يلمح  
صخرة كأنها كرسى . توجه إليها جلس . أحس بشيء من الراحة . ثقلت عيناه من شدة ما  
لاقاه منذ مدة من أهوال الفضاء . تمثل نفسه كأنه في حلم جديد :

رأى نفسه وهو طفل يتطلع إلى كنه الحياة . مشتاقاً إلى الدخول في عالم الكبار .  
محاولاً حلّ ألغازه . إذا به يعثر على جزء من ألف ليلة وليلة . تناثرت أوراقه . واصفر لونه .  
وغشيت كلماته . وأكلت من رونقه الأيام . غرق في ليالي حروفه مستجلباً مغلفاته . ونثر  
من أقماره زمراً ومن أهله أشتاتاً . وشق من ظلماته أشتاراً .

فانكشفت له شهرزاد وكأنها لم يدركها صباح، ولم تبح بكلام لشهريار، ولم يكحل عينها نوم، فلم تسكت.

لم تسكت لشبيل وأسرت في أذنه هامة،

عجز الإنسان فاطلق اللسان وانفتح الخيال..

وانطلق هائما مع خوارق السحر وعجائب المخلوقات وغرائب الأصقاع، فهاله ضعف الإنسان وتشتت قواه وزيف جهوده وقال في نفسه معرضا عن شهرزاد:

«ما روعة ألف ليلة وليلة إلا في الضلالة استحالت قوة والتفاهة انقلبت عتوًا..

ورأى نفسه وكأنه قفز على الزمان قفزة عملاقة، فأعرض عن ألف ليلة وليلة، واعتبرها من رواسب الماضي وإفرازة عقليات أفنى عليها الدهر وإن لم تخل من جمال فهي متحف من متاحف حضارة ليس من المعقول التثبت بها في عصر تجاوزها بأشواط هكذا أحب واقع الناس، وأقبل بكل جوارحه يعب من قصة الإنسان في وعيه لضعفه ووصفه لبؤسه وبكائه المصير. فتذكر شهرزاد وقال لها لهو كانت تعي:

«الآن انقطعت صلة إنسانك بإنسانك وبطل السحر وآمن الإنسان بعجزه..

وتمثل الإنسان وقد قفز فكرة قويًا، وكفر بالضعف والتهالك، واستبد بالطبيعة يخضعها ويصنها صنعا حتى صارت قصة الإنسان بلا قصة. فانفتحت له من فراغات الوجود كوة وأطلت منها شهرزاد وقالت بنبرات الواثق: «الآن انتهى الإنسان،

قال في شعور اللاشعور: «أن أواق الإنسان واكمل لهوا»

فتح عينيه وإذا به يرى أمامه امرأة وكأنها في لباس مضيق ولها شبه كبير بتلك التي رآها في الحلم منذ لحظات. قال:

- شهرزاد؟

- نعم أنا هي.

- ما هي قصتك وهل أنت حية بعد آلاف السنين؟ وما هي قصة هذه الجزيرة؟

وكيف سأعيش في هذا القفر؟ ولكن حظي سعيد أن ألقى امرأة مثلك، جمالا وحكمة ودراية. إني أشعر وكأنني عشت معك دهرا طويلا.

- الأحسن قبل كل شيء. أن تغادر هذا المكان، ونصل إلى العمران. أنت لست في حاجة إلى ما كان يشدك إلى الحياة الدنيا من مأكول ومشرب وجنس ومكسب ووسائل نقل وغير ذلك من تلك التي كانت سببا في شقاء الإنسان. أنت اليوم روح فقط. وما هذا الجسد الذي يحمل روحك إلا من مادة لا تبلى ولا تتغير لأنها غير محسوسة. قوتك كلها في روحك الآن.

- وما سبب وجودك هنا من دون الناس جميعا؟

- علمت بوصولك وأعرف أنك تشبه بالضبط رسام الشاعر ورئيس الكتبة الذي كان يعيش ببلاط شهريار. كانت له قصة طويلة معي، وحوار مستمر في تلك الأحداث المأسوية التي عشناها معا.

- وكيف علمت بوصولي ؟

- لا تتحير . هنا الإعلام الذي يهكم يأتيك من غير أن تحرك ساكنا . راحتنا في هذه الربوع أن الفرد منا لا يتعب فيما لا يعنيه . الشخص الذي لا تريد أن تراه لا تراه ، والأحداث التي لا تعينك لا تطرق سمعك ولا تلوح لناظريك . الآخر هنا لا معنى له ولا يدخل في أي حساب . الآخرة نعم . وجهتم عوّض الآخر . أما نحن هنا ففي المنزلة بين المنزلتين . لا حساب ولا عقاب . برزخ بأنم معنى الكلمة . لا يعلم أي منا كم يدوم هذا الوضع . هل هو حياة ؟ لا . هل هو موت ؟ لا . ولكن فلتعلم أن هذه الجزيرة الواقعة في السماء الدنيا هي على شكل عود . أخذته من يده وقالت :

- ارفع نفسك ولا تخف . فهنا لا جاذبية ولا مغنطيسية وإنما أنت أخف من ريشة تسبح في الفضاء .

ارتفع شبيل بنفسه . وإذا به يسبح في خفة تشبه ما أحس به عند مغادرته السيارة أي عند موته . ولما حلّق هو وشهرزاد فوق الجزيرة تبين له شكلها فوجده يمثل آلة عود بأنم معنى الكلمة . قالت شهرزاد :

- انظر إلى مكان الأوتار الممتدة ، ألا ترى أنها أربعة أوتار العود ثم الملاوي والدستان . كلها مبان ضخمة . سندخلها في الوقت المناسب . وسترى أن الذي يسكن هذه المباني هم من أولياء الجن وعملهم هو تسجيل ما يقوم به كل فرد من البشر في الحياة الدنيا . وهذه التساجيل ترصف في هذه المباني على حسب طبيعة كل واحد . يتكفل بكل فرد وليان من أولياء الجن يتداولان على ملازمتهم بحيث لا تغيب عنهما أية حركة أو كلمة تصدران عنه . ترصف هذه التساجيل الصغيرة جدا في خزائن على حسب طبائع البشر الأربع . لا حسب جنسهم ولا لونهم ولا جنسيتهم . البشر هنا كلهم سواسية . تبين جيدا : الوتر الأصفر يقابل المرة الصفراء ، والوتر الثاني وهو أحمر ويقابله الدم والوتر الثالث وهو أبيض يتطابق مع البلغم أما الرابع وهو أسود فيتلاءم مع المرة السوداء . ثم انظر وترا خامسا لا يبين بصورة واضحة هو أحمر كالدّم . كأنه تأليف للأوتار الأربعة . هو يمثل الحياة ويرمز إليها .

شبيل : وأي حياة ؟

شهرزاد : ستري لقد أوكّل إليّ استقبال ضيوف هذه الجزيرة وإرشادهم أثناء إقامتهم هنا . مهمتي هي تنظيم زيارات لهذه المباني والاطلاع على عينات من التساجيل . في هذه الجزيرة تدور الآلات وتنظم الحياة إن شئت بمفعول الطاقة الاندماجية لا الطاقة النووية الانشطارية التي تحكم فيها البشر ولكنه عجز عن السيطرة على الطاقة الاندماجية . كل الطاقة في الجزيرة متأتية من هذه وهي لا ينضب لها معين ولا يصدر عنها أي تلويث للمحيط .

- أنا محظوظ إذن عندما التقيت بك في ظروف كنت أحسبها موحشة وإذا بها

أصبحت، عند قدميك، كلها أنس وجمال ومعرفة.

- هي محطة لبعض الأرواح التي كان يرى أصحابها الوجود في الحياة الدنيا بمنظار متميز. هي فرصة تتاح للنظر إلى البشر نظرة شمولية التفاعلية واقعية. ستكشف لك حقيقة البشر من خلال هذه التساجيل. هي ليست نتيجة تركيب وتلفيق بل هي شريط متتابع لحياة كل فرد. لكنك لا تجد الوقت الكافي للكشف عن كل حيوات البشر بل ستضطر إلى اختيار عدد منها فقط حسب اهتماماتك.

- هذا (هامسا) عمل بوليسي. تحولت الآخرة إلى عالم مخبراتي. أرواح تنظر إلى الوجود بمنظار متميز. التطبيقية إذن متواصلة. لا علينا. (بصوت عال) وهل هذا سيكون كافيا لتلبية حاجاتي أثناء إقامتي؟

- سترى أنك لن تحتاج إلى شيء آخر غير المعرفة أو اللامعرفة. المتعة أو الفراغ؛ المعرفة باطلاعك على كونه حياة البشر الماضية بما فيها من علم وجهل، فضيلة وفساد، حرب وسلم، حب وبغض، جمال وقبح، حقيقة وباطل، خير وشر... وترجع إلى نفسك وتحاسبها وتقديرها حق قدرها.

- أنا خرجت من نفسي وحسبت أنني سأرتاح منها ومن عذابها.

- واللامعرفة (غير مبالية بما علق شيبيل) لأنك ستجد نفسك ناظرا إلى كل هذا من فوق. فأنت لا تبتني أي شيء.. ولا تنحصر له. ولا ينطبع في روحك. بل إنك ستكون مجرد متفرج سلمي.

ARCHIVE

- لا إنك مخطئ. سترتاح إلى ذلك. أن تكون فوق الربوة خالي الذهن من كل شيء. في انقطاع تام عن خضم الحياة وإن كانت الآخرة. في لا مبالاة تجاه الأحداث ماضيا وحاضرا، غير مهتم بالمستقبل لأنه فيك ومنك. الزمن يصبح لازمن. وأي نعمة هذه. لن تجدها في أي مكان. بل النعمة ستكون متمثلة في سماعك الموسيقى التي يعزفها أولياء الجن على هذا العود الأعظم الذي جمع كل آلات الكون. هذا الذي نظير فوقه الآن. هو موسيقى العالم بأجمعه تفهمها وتطرب لها كل الأجناس. هي غذاء الأرواح ونسغها وسبب ديمومتها. تصبح عند تلك الجزيرة كلها معزوفة رائعة، وسمفونية منعشة، كلما فرغت من المعرفة. ستسمع موسيقى لم تعرفها من قبل. ستكون غداك الوحيد في هذه الجزيرة، معوضة كل ملاذ الدنيا التي كنت تعرفها وتشتبث بها. تصور أنك عندما تخرج من جو المعرفة أو اللامعرفة فإنك تنتقل من دون إرادتك إلى جو من الفراغ بهيثك للدخول في حقل المتعة المنحصر في الموسيقى. السمع هنا يعوض متعة النظر والذوق والشم واللمس. فلا طعام ولا شراب ولا جنس. لكنك مع هذا ستشعر بالشبع والرواء والوصال الحميم.

- غريب عجيب. السماع هي الحاسة التي تكاد تكون مفقودة عند الشعابين. لهذا فإن تعابين البشر المتسلطين على الناس هم فاقدوا السمع والسماع حسبما يقولون.

- وما الذي ذكرك بالشعابين ؟

- تذكرت التساجيل التي سأجدها في هذه المباني وما سيظهر منها من أشخاص.

هم تارة كالثعابين أو العناكب أو الثعالب أو القروذ أو التماسيح أو...

- لا عليك. ماتزال مشدودا إلى خور الدنيا. ستتعلم كيف تتعالى على سفساف

الدنيا وأقزام البشر. ستنظر إليهم من عل مهما علا شأنهم. سينتفي منك تماهي الأنا والآخر في الذات. ستكون في انقطاع عن كل شيء.. ستزول جهنم التي كانت قابعة في نفسك. لا تنس أنك روح فقط.

- لكنك تقولين إننا نفقد النظر والحال أنني أنظر إليك الآن.

- اسمع، ربما يعد كل هذا تعويضا لما كان يتهالك عليه بنو البشر في حياتهم

الدنيا من نهم الجمع واللم والكسب والإقبال على الاستهلاك بجنون لا مثيل له. مما

أبعدهم عن كل معرفة حقيقية ومتعة سليمة. فهم يتكالبون على مله. حياتهم وهم في

فراغ منها. يتوهمون أنهم مجتدون للمعرفة وهم غارقون في المعرفة المضادة، أي

تلك التي تزيد جهلا وعمى في مجال إدراك الحقائق. الوهم هو الذي عمر حياتهم في

اليقظة، والحلم أقض مضاجعهم في النوم. وحقيق بهم أن ينجسوا على استجلاء

اللامعرفة والفراغ حتى يصلوا إلى إدراك حقيقتهم. ويخرجوا من أوهامهم ومهالكهم.

أما فيما يتعلق بـ"أنا" عن النظر فصحيح أنك تنظر إلي ولكن بدون بصيرة فأنت تلتقط

المناظر مثل الكاميرا تماما.

- دعنا من هذا. فلا باع لي في هذا الميدان. ولكن ألا ترين أن بعض الثعابين

تترنح لسماعها صوت الناي. وتتمايل برؤوسها، وتكف عن الإذابة. بينما البعض يقول

أنها لا سمع لها.

- وأمر الثعابين لك فيه باع إذن. بالضبط ما نشاهده لدى ثعابين البشر عندما

يسمعون المديح. عند ذلك يتقي شرهم الناس إلى حين. ولكن سمومهم تبقى فعالة. إلا

الترياق فهو الشافي من سمومهم. والترياق في المجال السياسي هو الديمقراطية وهي

في منظومتها مضادة للمديح والإطراء. لا مجال للمديح والسكوت عن قول الحق وكبت

الحريات في الديمقراطية.

- حتى أنتم في الآخرة مهتمون بالديمقراطية. وما حاجتكم إليها، والعدل

والمساواة والأخوة والخير والجمال والحق وكل القيم التي جاهد من أجلها الفلاسفة

والأدباء والفنانون هي أساس منظومة الآخرة حسبا أؤمن. الديمقراطية في الحياة

الدنيا شر ولكن البشر لم يجدوا إلى حد الآن أخف ضررا منها. لأن الإنسان مجبول على

السلط والعدوان. فهل الإنسان في الآخرة سيحمل معه هذه البذرة ؟ ويحول الآخرة إلى

حلبات من الصراع. فيطرد منها من جديد.

- نسيت أيضا (متظاهرة بالانشغال عن أسئلة شبيل المحرجة) الرتيلاء وعملها

الصامت الدؤوب، وحركة أرجلها العديدة، وعيونها الثمانية، وكلاسيكها الخطافية،

وشواربها الفكية، واستراتيجيتها عندما تلقي بنسجها وترمي خيوطها على المدى الطويل. وتتريص بفريستها حتى تقع في شركها وتذيقها من السموم ما يقتل ثم تفترسها. ألا يذكرك هذا بضع السادة الرتبلاء الذين أقاموا حكمهم علي هذا المتوال في صمت مدتهش أخرس عماده الدسيسة والتأمر. وخير ما يحضّ على الخروج من الأوها، والمهالك الحافة بالبشر والسموم المهددة لهم هو الاستماع إلى الموسيقى الرائعة، إلى تلك القطع الخالدة التي ابتكرها عباقرة الدنيا من كل الأجناس. هي أقرب إلى الحكمة الأزلية من كل الإبداعات. من الكلام شعرة ونثره، والفن التشكيلي بألوانه، والسينما رغم احتوائها على كل الفنون واستغلالها لها.

- (بعد أن بقي ساهما يستمع إلى شهرزاد في دهشة متعجبا من هذا الكلام الذي لا يجمع بينه منطق ولا معقول) معرفة، لا معرفة، فراغ، وهم، وأية محنة أئد من هذه وأقسى على من ظن أن الموت هو خلاص الأوفى من عذاب الدنيا. هو الحكم الأعدل بالنسبة إلى النفوس التي عرفت الظلم والعنت والبلاء في الحياة الدنيا. نحن كنا بين الجبر والاختيار في شقاء، والقضاء والقدر في أخذ ورد، وإذا بنا نرى أنفسنا مكتوفي الأيدي في فضاء اللامعرفة والفراغ. لقد تم إفراغ الجسد من كل خصائصه وانتقام الروح من فسحتها. أي سجن رمي بي فيه. والغريب أنني سأحرم من رؤية الجمال والتمتع به أمدا طويلا. في انتظار أن يذبح الكبش آخر مرة. كيف لي أن أحرم من جمال المرأة ولذة معاشرتها، وأن تغيب عني روعة الطبيعة بأزهارها وأنوارها وأشجارها وعشبها ونباتها. هذا كله أراه، إن وجد، ولا أتمتع به. أن أنظر ولا أرى ولا أبصر. هذا أمر من الصبر وأذهب لحاسة الذوق من العلقم.

<http://Archivebeta.Sakini.cc>

- خلّ عنك هذا. ألم تعرف في الدنيا من البشر من ينظر ولا يبصر، ويسمع ولا يفقه، ويأكل ويشرب ولا ذوق له، وتصدم خياشيمه الروائح طيبها وكرهها ولا شم له الواقع ؟ ثم كفّ عن هذا الهراء. فأنت ما تزال تتحدث بلغة أهل الدنيا لأنك لم تخرج من جوها ودرنها. ألا تراني أحدثك بلغتك لأنني لوما مضيت أحاورك بمنطق أهل الآخرة لم فهمتني. إنك ما تزال في أول الرحلة وستكون لك في آخر المطاف من الطاقاد والقدرات والملكات ما لم يعرفه في الدنيا لا البشر ولا الحيوان والهوام، ولا الآلا، الحساسة التي صنعها الإنسان. استسلم لقدرة القادر.

الفتريت شهرزاد وشيبين من العمران وتبينت له صورة الأوتار، وبدأ يعترضهم في طريقهما أشخاص كالشجر بالضبط ولكن في يد كل واحد منهم آلة صغيرة جدا شبيهة بالكاميرا. صاح شيبيل :

- انظري هو صديقي بالضبط الذي أتباني الكبش أنه بين الحياة والموت. هو بعينه. فهل الكذب جائز أيضا في الآخرة ؟

- إن كل إنسان في الدنيا له شبيهان وهما من أولياء الجن. مهمتهما هو التداول على تسجيل كل ما يصدر عنه من حركات وسكنات وأقوال. هكذا أنت لاقيت نسخة من

صديق والنسخة الأخرى ملازمة له. أما نسختك فإنك لن تراها، لأنك خرجت من الدنيا وأصبحت غير قادر على أن يصدر منك لا الخير ولا الشر.

- إذن أنا حر الآن لا رقيب عليّ (مقاطعا وساخرا) وما توعدني به الكباش لا مجال لتصديقه. ألا ترين يا شهرزاد أن أولياء الجن سيضطدومون بأولياء الإنس من المتلصقين.

- أنت (مواصلة) هباء، نحن هباء، مجرد آلات.

- وهل هذه حالة يرضاها من قيل إنه خليفة الله.

- في الأرض. ولست خليفة في السماء. انتهت اللعبة، أنت الآن خليفة روحك

ليس إلا. كف عن هذا الهراء. أقبل على ما ستراه على أديم هذه الجزيرة إقبال الهاني البال. أترك التأزم والكآبة والقلق لأهل الدنيا. خفف حملك من هذا كله، وألق به إلى من ما يزال الغرور متمكنا به. هنا يمكن ألا ترى إلا من تسرّك رؤيته من العلماء والفنانين والحكماء، والفلاسفة والشعراء، والكتاب، من نالوا الجوائز ومن غبنوا.

- أو لقيتهم كلهم؟

- جلست إلى العديد منهم ولا أهتم بالحكام إلا الذين لهم تفكير متميز عن

غيرهم. أنا أتخاض لقاء شهر يار. أكثر أوقاتي أمضيتها في سماع الموسيقى وفي

مشاهدة التساجيل التي تأتي يوميا وترتّب لا حسب الأبجدية بل ترتّب في كل مبنى على

حسب الطبائع ثم الاختصاص : الحكام، العلماء، الشعراء، الكتاب، الرسامون، النحاتون،

رجال الأعمال، رجال الاقتصاد، الفلاحون، العمال، الموظفون، البطالون، هنا لا فرق

بين الرجال والنساء.

- والمتقاعدون والذين لا حاجة لهم في كسب قوتهم؟

- المتقاعدون يرتّبون حسب اختصاصهم السابق أما الذين لا يطالبون بشغل

ويعيشون عالة على المجتمع فيرتّبون تحت صنف أهل الفراغ.

- فرصة فريدة. سنستوجب هذه النسخ وسنربط مع الحياة التي فارقناها ونفتح

حوارا بيننا وبين من عجزنا عن مخاطبتهم أو الدنو منهم.

- لن نحتاج إلى استجوابهم لأنهم لن يجيبوك. هم خرس لأنهم نسخ من البشر لا

روح فيها وماعليك إلا الرجوع إلى التساجيل لتعرف ما يحدث في الدنيا. ستعلم أن الذي

كنت تعيشه هو عالم اصطناعي تصنعه أنت بأوهامك أو يصنعه لك من هو أقدر منك

وتقاد كأنك مغمض العينين، وبمحض إرادتك في كثير من الأحيان، إلى مصير لا تدري

هل أنت صنعته بنفسك أم صنعه لك. كالدمية يحركها من صنعها. ثم يأتيك الموت وهو

الحقيقة الوحيدة التي لا لبس فيها، مثل ولادتك مع فرق كبير إذ يمكن لك حين يدهمك

الموت أن تكون واعيا بينما أنت خارج عن منطقة الوعي عند ولادتك.

- أما أنا فلم أكن واعيا بموتي. لقد انتقلت من الحياة إلى المنيّة وأنا في غيبوبة

تامة وأحسست براحة لم أعرفها من قبل. فحتى سكرات الموت لم أعرفها وكذلك عذابه

وبرودته. لكم بالغوا في وصف برودة الأموات. وهم يقيسون الحياة بدرجات الحرارة.

تري ماهي حرارة أبداننا ؟

- من حسن حظك (ساخرة) أنك ولدت ومث وأنت غير واع. والغريب أن العديد من البشر غير واعين وفي غفلة تامة بين ولادتهم ومماتهم. ستشاهد هؤلاء. في التساجيل إن أردت وستقول هل خلقوا بلا نظر ولا شم ولا سمع : صم بكم فهم لا يعقلون. أما فيما يتعلق بأولياء الجن فهم مصنوعون من مواد كيميائية اصطناعية. مصانعهم موجودة في جزيرة أخرى. وهي قادرة على صنع قطع الغيار من الأعضاء الشبيهة بأعضاء الإنسان وأجزائه. وهذا ما لم يقدر عليه البشر إلى الآن بالنسبة إلى القليل كعظم الفك الاصطناعي المعروف عند أهل الدنيا أخيرا. ولهذا مهما تداعى جسم الفرد من البشر بالمرض أو تلف عضو من الأعضاء. فإن النسخة تبقى سليمة.

- أن أعيش بلا وعي فمتى أعرف الوعي إذن ؟

- عند اكتشاف حقيقة الواقع الذي عشته باستعراض تساجيل حياتك. وستحكم على نفسك وتتصور مدى غفلتك ووهمك ولاوعيك ومغالطتك لنفسك وللناس عن شعور أو بدون شعور. هكذا نحن البشر عندما نركب متن الحياة وتركض بنا ركض الشهوة واللذة والنشوة. ومع ذلك فنحن نتوهم أننا ماسكون بالمقود بينما لا ندري في الواقع أي مسلك نسلك ولا أية فلاة تفضي إليها.

- نعم هكذا فطر الإنسان على اللهو. وحظه في الدنيا إنما لا يكون إلا في انتقاله من حال إلى حال بفضل هذه الطاقة الإلهية الكامنة فيه. وإلا فمصيره القبوع فيما ألقى به جواد الحياة مقيدا مكبلا.

- مجرد هراء. إنما حقيقة الإنسان تصنع في كل دقيقة في نسق له بدؤه ومنتهاه في سلسلة حلقاتها متماسكة...

لم تتم شهرزاد كلامها ونزلت في ساحة المدينة وتبعها شبيب بدون عناء. قالت شهرزاد :

- هذه إذن المباني الخمسة، وهذه أبوابها وليس لك إلا أن تدخل القاعة المسيرة لكل بناية. ثم تجلس إلى الحاسوب وترقن اسم من تريد مشاهدة مسيرته. فيخرج لك علي الشاشة تسجيل كامل لحياته إذا كان ميتا، وإذا كان ما يزال حيا فإن في إمكانك الاطلاع على مافات من حياته وحاضره أيضا. ويمكن أن تأخذ نسخة. وإذا أحببت أن تكتفي بلقطات فلك ذلك. لقد استعملت في هذه الأجهزة الموصل المثال للكهرباء. الذي لم يكتشفه البشر إلا أخيرا. وإذا عجز الإنسان على استكمال هذه الأجهزة استغلته إلى آخر حد إذ في الإمكان الإبقاء على هذه الظاهرة وتوليدها أيضا والاحتفاظ بها طويلا. لذا أمكن صنع أجهزة الكمبيوتر المتناهية في الصغر والبالغة شؤوا كبيرا في الدقة والعجبية في سرعة الأداء. وأكبر مساعد على ذلك وجود مولد عظيم جدا خاص بشعاع الليزر وأشياء أخرى لا يمكن أن تتصورها بعقلك البشري الذي لم يصل إلا جزء قليل من المعرفة.



- إني بقدر ما أنا متلهف لمعرفة حياتي بقدر ما أشفق على نفسي من أن أنشاؤها من جديد. أنت تعرفين أنني عندما أكتب شيئا وأستكمله ويصبح ملكا للناس أنساه ولا أرجع إليه. فكيف بي أن أتحمّل مرة أخرى عبء حياة لم أكن راض عنها ؟ لهذا سأستجلي أمرك وأمر شერიار ومأساتك كما قلت وسأقوم بتركيب لذلك.

- ستؤلف حياتي إذن من جديد. ستقدّم لي وهما من وأهامك لا واقعي ولا واقع الناس الذين عشت بينهم.

- سترين كيف سأتوخى الواقع. لكن أليس من نكد الدهر أن يضيّع الإنسان وقته حتى في الآخرة في مشاهدة تفاهات البشر.

- أنت على عتبة الآخرة.

- الأمر سواء. إنه سيدركني النوم. إيه نسيّت هنا لا نوم ولا يقظة. ماذا إذن ؟

الصحو الدائم ! سيصيّبي الضجر إذن. لماذا لا تحبين ؟

- السبات الساهر قسمتنا. هي حالة سنتنعم بها.

- أمر مزعج. هذه من الأمراض النفسية الخطيرة.

التفت فلم يجد شهرزاد. اتجه نحو المباني واحدا بعد آخر وقضى وقتا لا يدرى مداه. لقد انشغل باستعراض أعمار عديدة. واختار منها ما عنّ له سلسلة اللقطات العجيبة من دون كلل ولا تعب ولا ضجر بل إنه كلما توقف ولو لحظة إلاّ وغمرته الموسيقى من كل مكان وإذا مشى في الطريق واختلط بأولياء الجن ورأى بينهم من كان يعرفه فلا كلام وسلام. إنه يحسّ براحة هي راحة النوم في الحياة الدنيا ولكن في حال من اليقظة عجب تغمرها الموسيقى كأحلى وألذ ما سمع من قبل.

عندما استكمل التركيب في القاعة المعدة لذلك فكّر في شهرزاد. وضرب على لوحة الحاسوب كلمة اصطلاحية كانت سلمتها إليه شهرزاد وإذا بها تقف أمامه. تجلس ويضغط على زرّ فيظهر التسجيل الذي ركيه شبيل. قالت شهرزاد :

- لك خبرة بالتركيب التلفزيوني. إنّ هذا تركيب ما في ذلك شك. هو إذن وهم على وهم. وبما أنّ حياة البشر وهم فليس من الغريب أن يخترع الإنسان ما يزيده وهما على وهمه. ويتركه عبدا لأوهامه. لقصور فهمه وفرط تحيّزه للفنّه عن نقل ما يعتمل حقيقة في خاطره من أفكار. وغرقه في مذاهب وتيارات فلسفية وإيديولوجية من دون كبير تثبّت ولا بحث موضوعي. إنّ التركيب التلفزيوني يدفع الإنسان إلى أن يتوهم. انطلاقا من الصورة وما يصاحبها من كلام. أنه حل مشاكله وعرف الواقع واطمأنّ إليه وإلى نفسه. لئن اصطدم في أوّل الأمر بالحقيقة المرّة التي تطلع على الشاشة وكأنها الواقع. وتنشّج أعصابه وينتابه التشويش في أفكاره ومشاعره. فإنه سرعان ما يأتيه الكلام بالبلمس الشافي. فيحل النظام محل التشويش. والهدوء والاستكانة محل الحيرة والقلق. إنّ هذه الآلة الجهنمية هي أخطر ما اخترعه الإنسان لإحكام العبودية وأبين العبودية من العبادة.

- لقد أحلست في نفسي بل في روحي بقايا من الحياة الفانية. لعلها هي التي دفعتنني إلى القدرة على هذا العمل الذي لو كنت في الدنيا الأخرى لتطلب مني منات السنين أي أعماراً بأكملها. سترين كيف أقوم بمداخلات في هذا الشريط الطويل لوصف ما اضطررت إلى حذفه من اللقطات التي لا تزيد كثيراً في فهم الأحداث. لقد عرفت أن الجزء الأعظم من حياة البشر لا قيمة له ويمكن اختصاره. فكم من إنسان عاش ثمانين سنة ولكن حياته الحقيقية تختصر في بضع سنوات. لا شيء إلا لأنه يمضي حياته في الآونة معتقداً أنه ملاًها جهداً وجداً. ومع هذا فإنني لم أدخل بعد المبنى الرابع والخامس.

- يا لضة روحك. زدت على خطاياك خطايا أخرى لأنك ستقدم إليها أوهاماً على أوهاماً. على كل لنشاهد الآن ما أعدده وأغلب الظن أنني سأضطر إلى التدخل.

البشير بن سلامة



## القرين

بقلم أحمد البديري

صادفه مكان ظليل، شجرة ضخمة، وارقة، لا يتعرف أحد تاريخها غير كبار النجع، وشيوخه الذين يروون تواترا أنها كانت قديما مأوى القديسين، وملجأ ناشري الرسالات. وقد كافأها الآلهة بأن جعلت خضرتها مستديمة وظلها سلافاً على كل زائر مستقيل.. كَوْم الأمتعة بجانبه تَمازما على اتخاذها مهادا، أوحى إليه أن أبعداها من المحراب، وامنع عنها ظلاله، واتركها لحريق الهاجرة.. لم يصدق ولم يكثر، اقترب من الأمتعة والتصق بها أكثر. تردّد النداء ثانية: تنحّ عما أدبر ظهره، وحزّ عجزك، ما قيد روحك، وأغل عتقك. تنازعه أن يحزم الامتعة، ويواصل الرحلة، أو أن ينصاع لأوامر الإلهام فينزعه عنه المتاع. لكنّ قيظ الهاجرة لا يستطيع، لملم ما حمله طوال الطريق وأطعمه الخلا..

شعر بما لم يشعر به قطّ. جسد خفيف، طيع، لين، فتماذي في اللعبة، نزع عنه ثيابه مبقياً على ما يستر العورة. لفقه الصفاء. وأجاءه اليقين. فتوغّل في التجربة، ونزع عنه حتى ما يستر العورة، والتصق بالتراب.

استفاق على أنفاس تدغدغ جسده العاري. كذب ما يراه. تحسّس أجزاءه فأدرك السرّ. لقد زاره العليم، وجاءه بقرين أوصاه به خيرا. اطمأنّ حين وجد رفيقا في مكان كفر عانى فيه العزلة، والحنين. كانا مثيلين في كلّ أمر. لم يشعر المسافر بالحر، ولا بالبرد، ولا بالجوع، ولا بالعطش، لكنّه ملّ طول المقام. بدأ يتململ. وأغراه الرّحيل ومتعة الخروج. استشار القرين فرفض رفضا لا مردّ له: «لن نخرج من رحمننا. هنا عدنا إلى النشأة الأولى. ولا أريد أن أبعث مرّة أخرى!». طاف بالمحراب في غفلة من القرين، وابتعد عن الشجرة. تنسّم رائحة انسانيته وعاد الى القرين مرة أخرى. وأصرّ على الرحيل. أقنع القرين باسم الحب، والإخاء، وزين له الخروج. فلم يجد بداً من الانصياع.

أوغلا في الغراء. وابتعدا عن المحراب، وبدأ شقاء البحث. توسّطت الشمس السماء، وبدأت تنثفّ اللهب. تسلّل العطل الى جسد المسافر، لم يستطع الصمود فهوّى. أتاه القرين بقبضة من العشب بحث عنها طويلا. استعاد بها وعيه. وقرّر أن يقضيا القيلولة تحت جرف صخريّ وسط الوادي رآه مناسبا ليخفّف من القيظ.

عثر المسافر على أثر إنسانيّ، عصا لأحد الرعاة كان قد نسيها حيث تعود أن يقضي أوقات الظهيرة. تفحصها، «نقشت عليها سيماء القبيلة، وعدد القطع، وعلق عليها بعض من دماء قديمة..

وبدأت الذاكرة تستجمع المشتت..

كنّا قبيلة كبيرة، تسكن بيوت الطين، تلفّ أجسادها بالخرق والكتّان، تحفّ الشوارب وتحلقّ اللحى، تنتعل النعال، وتركب الحمير والجمال، وتخرج إلى الغزو، وتأتي بالموونة والمدد.. وذات رحلة انفصلت عن الجماعة أطارد غزالا شرودا. ركض المهري، ركض وركض، لكنّ الطمع حثني والرغبة في الفريسة. فأجهدته ضربا ولكزا، تعثر وسقط، وارتطم ظهره بصخر الوادي. أنّ أنينا موجعا تجاوزت معه الأفاق، وأيقنت أنّ السبيل انقطعت بي، حاولت أن أوقظه، لكنّ النزيف كان أقوى. تركته، وحاولت أن أفلت من هجير الهاجرة. لملت زادي وزوادي ربطتها على ظهري وانطلقت. التفت عن بعد فوجدته يتابع خطاي بعينين مستعطفتين مستنجدتين. إلا أنّي رغبت في الفوز، وفي اللحاق بالجماعة قبل أن يهجم الحرّ على الصحراء.. وبحث، بحث فلم أجد لها رسما، تهمت في الخلا، وهذني العطش، وراودني الرجوع إلى المهريّ لأنّه قيل: قد تنقطع المياه من الصحاري، لكنّها لا تنقطع من بطون المهاري.

عدت إلى المكان، لكنني لم أجد للمهريّ أثرا. لم أجد المهريّ ولا ما يدلّ على المهريّ. حتى الدماء التي رأيتها رؤى اليقين تنزف، كأنّها تبخرت. تحيّرت صخرة كبيرة في جوف الوادي كهذه التي نطللنا في انتظار الغروب، واستجمعت قواي ليلا وعزمت على الرحيل. وقادتني خطاي إلى تلك الشجرة حيث كنّا....

تلمل القرين، وتحنّى قليلا مؤثرا لفح لهيب أشعة الشمس على أن يقترب من المسافر. أكمل المسافر: الآن أيّها القرين أرى أن نعود إلى القبيلة، أن أبدأ البحث من جديد. ترجّاه القرين أن يبقى معا. ما حاجتنا إلى القبيلة. سأجعل لك من ظهري سرجا ومهادا. سأنزع عنك الباطل، سأريحك من الشقاء، وأعلّمك ما لم تعلّم.

ولم يدر القرين أنّ العناد من طبيعة المسافرين!

أشعل الحنين صدر المسافر وقرّر الرحيل. ولم يجد القرين مفرّا من الانصياع. حمّله على ظهره، وقطع به أرضا خروقا أشرفا بعدها على الديار.

استقبلته القبيلة بالطبول والاهازيج. قيّدوا القرين، وقادوا المسافر إلى الخيمة. أسرع الخدم فستروا العورة التي كانوا قد أتاحوا عنها بوجوههم. حلقوا الذقن والرأس. وأنّوا به كبار القوم. تحلقّوا حوله واستخبروه القصّة. لم يُجب. عمل الرجال على تلقينه اللغة التي بها يتخاطبون. فأخبرهم بالقصّة. تهامس العقلاء: إنّ لفي الأمر خطرا. إنّ القرين لا يكون إلاّ نذير شؤم على القبيلة كلّها.

ظلّ المسافر معهم مدّة كانت كفيّلة بأنّ يسترجع فيها ما تعلّمه من أعراف القبيلة مباحها ومحظورها، وبأنّ تشغله بما ينشغل به بنو جنسه، ونسي القرين. لكن القوم لم ينسوه مصدر غموض لم يفكوا طلاسه رغم استنجادهم بعفاريث الإنس والجن. فرغبوا في التخلص منه، لكنّهم تهيّبوا ارتكاب الإثم..

جاؤوا به مقيّدا، بطحوه أرضا، وشحذوا المدينة، ووضعوها في يد المسافر وأمروه  
أن خلّص قبيلتك. تحدّرت دمعة على خدّ القرين. دمعة كبيرة، لامعة، اخترقت كتل الدم  
المتجمّدة، واستقرت بجانب المدينة. بدأت تتّسع، تتّسع، ازدادت بريقا وصفا، انضحت  
فيها رموز كتلك التي علمته القبيلة. قرأ المسافر منها: «نزل العليم، فوجدني مهتّم  
الظهر والضلوع. مسح جرحي، وجبر عظمي، فشفاني. وقال إنك الصابر الصبور لك ما  
تريد. لم أفكّر في نفسي، وفكرت في مولاي. وصحت: أخاف من الصحراء أن تغدر  
بصاحبي فتطعمه الذئاب والوحوش، إليه أوصلني. أطبق العليم جفنيه حسرة وأسى،  
وسرى بي.....»

أدرك المسافر السرّ.

في الليل زاره العليم.

أحمد البدرى



أبو بكر العيادي

# مسار رج التيه



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrut.com>



رواية

مسار



## التاريخ والأرضة

بقلم مسعودة أبوبكر

ارتحت الى قرارى أخيرا، وقلما أرتاح الى قرار، فقد نصبت من أجله مجلس شورى جوانيا وجندت له اقتناعي وسعيت لتنفيذه.  
لا بد أن أتخلص من رزم الصحف التي اجتاحت منذ سنوات ثلث بيت الخزين، ولقلة الضوء والرطوبة، تناسلت بين ألياف الورق دويبات انتقل بعضها الى جهازى التنفسي في استيطان غريب كلّفني التردّد على عيادة الطبيب مرّة كلّ شهر.  
كلّ ما يصدر عن الورق متعب انتهاء بزحف لامرئي لكائنات مجهريّة، بدءا بما حبر من كلمات.

تقرأ الخبر فتتقلّص من الدّاخل تشنّجا لمؤثرات عديدة، تعرف أحيانا، تنزعج وتقلق، تنور كثيرا وتشم وتقصّ بريقك وأنت تبثله مُكْتَمًا في غالب الأحيان ثمّ يخلف لك الدّوام على هذه العادة -إن كنت مدمنا على اللهاث اليوميّ خلف أخبار الصحف- ارفع الضّغط والتوتر المزمن.

لا بد أن أتخلص من كلّ هذه الرّزم المشحونة بقطعان لامرئية من الأرضة أو العثّ، حسب ما يشتهي اللغويون وعلماء البيولوجيا، قطع ليست أدري لم ولاكيف تسارع زحفه الى أنفي في رحلة عجيبة الى أوعية التنفّس، ملتصقا بأنسجتي الحلقية، يتأمّر عليّ السعال والحكة فيسلبانني حقّ النوم والراحة.

ظلمت أتصوّر أن دقّ التاريخ من ركام الورق المحبّر لا يورث إلّا وجع القلب، لكن يبدو أنّه جاذب قويّ للأرض والعثّ.

وقفت بعيد الضّحى في بيت الخزين ألقى نظرة وداع على ركام الصحف. كانت صفح السّبعين هي الرّزمة رقم واحد.. آه من السنوات السبعينيّة تلك، بداية الوعي في هذا الدّماغ. اذ سرعان ما شخت للهائي وراء ما أفهم وما لا أفهم رغم أنّي حديثة عهد بالعشرين، واحتفلت بالحدث مع ثلّة من أشباه المجانين من رفاقي حينئذ، في نزل ساحلي تكفل بدفع ثمن المشروبات عاشق لإحدى صديقاتي، طالع لتوّه من مسلسل شرقيّ، يضجّره، صخب العمّال، وثورّة الطّلاب، وأعراض الروماتيزم، وترهّل زوجته.

في تلك المناسبة خسرت أوّل صديق أجلّه، وقد تبلورت لديه فكرة عنيدة وسخيفة إذ يرى أنّي أصبحت بورجوازيّة صغيرة أقيم (في مفرقة غريبة) حفل عيد ميلاد في فندق تمتلكه جمعية تنضوي تحتها كلّ النقابات العماليّة..

قال ضمن ما قال :

لا أرى العمّال هنا إلّا كنظرة تعبر فوقها السيارات الفارمة.. دعيني أبحث لك

عند المشرب أو المسبح عن وجه منجمي، عن عمّال مصانع يحتسون الشاي الإنجليزي على موائد القصب..

هجانني في الأسبوع الموالي بقصيد خليلي على إيقاع دهي الجزيرة أمر لا عزا له، نشره في صحيفة أسبوعية مقروءة لدى جيلنا فاستفز قريحتي وعقبت أرد عليه بحماسة من طعن في مبادئه.

كلا الصحفيّين هنا إبرة في كومة من القش.

أصعد مع الزمن، أمد يدي إلى ركّام سنوات اصفرّت على الورق واحمرّت في صدورنا. تهبّ ذكرى أيلول الأسود، أذكر دموع أمي التي طفرت على صورة الرّاحل عبد الناصر على الصحيفة وهو يرسم ابتسامة عريضة كأنما يخفي وراءها قلقه من المواجه التي تسرّبت عقب النكسة إلى الشّريان العربي.

آه يا أكتوبر ثلاث وسبعين..

تجتاحني هجمة من العطاس. أحكم شدّ الكمام حول أنفي وأتحسّ العقدة خلف الرّأس كما لقنني الطّبيب وأعود إلى مصافحة العناوين. فيشدّني أحدها:

«جدول في حجم الخسائر التي مُني بها الجانبان في حرب 1973، أقلب الصحيفة وألقيها ثانية إلى الرّكّام. كنّا نشعر في تلك الفترة من الصّراع العربيّ الإسرائيليّ بمرارة، وما كنّا ندري أنّها ستتضاعف عشر مرّات في السّنوات اللاحقة وأنّ بؤر الصّراع ستتمدّد خلايا سرطانيّة بأشكال مختلفة.

أعود لأبحث عني عبر ركّام الصّحف حيث رشّحت قريحتي في نصوص نشرت، بعضها مغرق في الرومنسية التي راجت إلى قلب، وأخرى ثورية انفعاليّة مغمّسة في حمى الشباب. شهادة ساخنة عن فترة مأزومة عشتها وعاشها جيلي، كيف يا ترى أنخلى عنها وأفكر في التخلّص منها؟

كيف التخلّي عن هذه الصّحف الصّادرة في تلك الفترة من التّاريخ؟ ذات الأهميّة الخاصّة بالنّسبة إليّ. وكم حفلت بأحداث جبلي بالصّراع والمرارة بين طبقات الإنسان حينما كان من رقعة الأرض؟

كانت دمائي تفور لأخبار الحرب والفقر والجوع وموجة الشّواش الجماعيّة وأنا قزم في مهبّ الرّيح، أنعاطف مع الشّعوب المضطّهدة بالصّراخ والكتابة والتّدخين. ضمن الصّحف أذكر قصيدا عموديا كتبته معارضة لـ: «أضحى الثّنائي...»، تصدر الصّفحة الأدبيّة رغم زحافاتهِ وعلله وركّاكه صورهِ، كتبته بلوعة المحبّة وثورة متمرد يمشي في إثر مظاهرات طلابيّة ثمّ يسأل عن شعاراتها.. تلقّيت إبّان إحداها أوّل ضربة بهراوة صقيلة بيضاء وجريت كأرنب مذعور عبر الأزقة قبل أن يعاودني العناد.

في تلك الفترة شاركت بكلام كثير في «هايدبارك» تفسّحه إحدى الصّحف.. كلام.. كلام.. كأنما كلّ المرام كلام.. يمتدّ كالقطر على وجوه الصفحات.. منات الصفحات، يرشح الكثير منه مراوغة وخداعا وفضفضة.. ولكن رغم كلّ ذلك.. كيف



التفريط فيها ؟ كيف التمهيد لتتلف ؟

كنت في الأسبوع المنقضي قد انفتحت مع أحد الحماليين أن يتولى أمر ركام هذه الصحف القديمة ويتصرف فيها بمعرفته. فقد بالغ أنفي في الرشح ولم تبارح قنينة السائل المطهر باطن كفي. حالة من الطوارئ أعلنتها إثر عزم أوفدني الى بيت الخزين للنظر في مشروع ترتيبه وتنظيمه، غير أن الفضول ألقى بي كالعادة في أتون الأخبار الغابرة المغبرة، فغصت في المكان لا أبرحه إلا إذا اجتاحتني هجمة العطاس وقد نفذت إلى منخري دويبات الورق المغبر المصفر.

اقترح أحد أقاربي أن ينقل هذه الجرائد إلى شبه الأرشيف الذي يقيم في ركن من مكتبته التي خصص لها مساحة كبيرة ومشمسة، لكن يبدو أن اصفرارها وانذارا سرياً من الدويبات المجهرية قد نثياه عن عزمه فأحجم عن فكرته.

أشار علي أحدهم بإقامة محرقة لهذه الرزم البالية، لكنني لم أجرو

- إن بعضهم لا يتورع عن إقامة محارق للبشر وأنت تتهيبين أكداس الغبار هذه! قاطعته :

- تلك فترة من عمري.

وكانما قد أثرت سحريته اذ علق ضاحكا :

- غبار وألياف تسكنها العث !. ربما كانت تلك الدويبات قصائدك ونصوصك

التي حبرتها زمن الحماسة المنطفئ... أفهم الآن عشق هذه الكائنات لمنخر.. تلك بضاعتك ردت إليك..

عروة وثقى مع حياتي الماضية لا أقدر على صرمها، صف الثمانيات تهمني من بعيد ومن قريب، منها استوحيت وعبرها كتبت.. خمود.. جمود.. استسلام.. تخبط.. جرح آخر في جبين الشرق.. نزيف يمتد من ربوع السياب حتى جنان الشيرازي.. انفتاح تاريخي بين عشائر الأرز والشاي ورعاة البقر.. موضة.. غناء منحدر.. كلام كسبح.. خطب بليدة لهات الى الهاوية.. صعود من الهاوية.. شمس أريد قليلا من شعاع الشمس.. خرجت الى الضوء هروبا من بيت الخزين الأعمى، استندت الى الحائط الذي يغمره النور ومددت ساقي. نزعت الكمام، أغمضت أجفاني.. ألم في أم رأسي !!

لا أذكر ساعتئذ هل كنت في..أوكراني، عندما حدث الانفجار الهائل.. أم أنني في حمى الزحام أمام حائط برلين وهو يهوي أمام فرح عالمي هيسري.. اصطدمت بجسد جرمانى.. لا بل هذا جسد أسود نحيل يسقط وعقاب كاسر بشع يتربص بأخر نفس في صدره... الجوع في الحشاء الإفريقي يرقص على الطبول.

أنهض.. أجري أمام مبنى البيت الأبيض بكاميرا نفذت طاقتها ومازالت مفاوضات السلام مبسوطة برقاعها ورخها الأسود ورخها الأبيض والملوك والبيادق في حالة من الذهول المقرف.

لا أذكر أين كنت تحديدا حينما اصطدمت بشيء ما..

هرواة على رأسي في شوارع نيكارغوا... ربما...؟  
حشود ثملة إبان مهرجان في ريو دي جانيرو... ربما...؟  
ضجة مقصلة تهوي على رقاب ثوار قيدو للأعدام... ربما...؟  
حدث كروي حيس الأنفاس ثم ألهب الصدور حتى انهارت جدران غضبي على  
مسارح المصارعين وفرت ثيران مجنونة على خطي لوركا، وصديقه أغناثيو...؟  
ربما..

لا أدري في أي الساحات الملتهبة كنت حين غمّسوا أرغفة الخبز في الدم وتبرأت  
الحناجر من صراخاتها..  
يبدو أنني أحدثت جلبة.. وربما صرخت..

امتدت الأيدي تساعدني كي أنهض من تحت ركام الصحف الذي انشال على رأسي.  
استويت جالسة أسح الغبار عن عيني ووجهي، كان تشي غيفارا، بلحيته التي  
تحوط نصف وجهه ينظر في ابتسامة ساخرة الى نقطة مبهمة ويده على حاملة الخراطيش  
الملتصقة بصدري. وكانت مارلين منرو، نصف عارية تستلقي أمام عدسة المصور بكل  
بذخها اللحمي المثير.

وكان ماوتسي تونغ، على ظهر دابة يتقدم في طريق وعرة نحو الـ...  
قال بعض الجيران ممن هبوا للضجة :

- هذه المرأة سليمة والحمد لله.. هذه الصحف أعشاش مثالية لقبيلة من الفئران،  
تخلصي منها وإلا استقطبت الثعابين وما شابهها..  
- لا.. اطمئنوا التاريخ لا يخفي الثعابين إنه يكشفها ويعريها، ثم هو أعظم من أن  
تعشش فيه الفئران..

تفطنت إلى أنني كنت أغالط نفسي.. إن الأرضة قد استوطنت صحائف التاريخ  
وهي أخطر.

حين انحنيت من الشرفة المطلة على الرقاق، لمحت الحمال يترجل من عربته ذات  
العجلات الثلاث، ورأيت يرفع رأسه باتجاه الشرفة، وكما تعود أن يُشعر حرقانه بقدميه،  
رفع صوته مشيحاً عن الجرس هاتفاً :

- يا فتاح يا كريم.. حمال.. يا رزاق يا عليم... حمال..  
أقعي قبالة الشرفة وتشاغل بإشعال سيجارة. راح يتابع بفضول وقح حركة غدو  
بعض الجارات ورواحهن لقضاء أغراضهن.

أهذا من سيتكفل بحمل كل هذا التاريخ، والتصرف فيه حسب ما يحلو له ؟  
أفي هذه العربة ؟.. لا شك أنها عرفت حمولات عديدة مختلفة !. خرافاً مثلاً وتبناً !!  
براميل زيت وأكداس زبلي..

أفي هذه العربة سيضع أخبار تشي غيفارا، وأشعار البياتي... وصور دباتريش،  
بالأسود والأبيض.. وفرانك سينترا.. وشارل أزنافور.. وجمال عبد الناصر،

وفقرات مطوّلة عن الأدب والإقتصاد والتّاريخ والزّيف والكذب.. ذلك الكذب الذي يقود العقل مباشرة الى الحقيقة.. وخطبا كاملة ومختصرة لرؤساء أحزاب وحكّام وزعماء وملوك وفقهاء، وأخبار عن الكوارث بأنواعها ؟

كيف يحشر كلّ هذا في جوف هذه العربة القدرة المقررة القابعة كغفيلٍم بثلاثة سيقان أمام باب الدّار ؟..

بل كيف عنّت لي فكرة التّخلّص من صحفي الأثرية الثريّة ؟ ألا يكفي تسلّط الغبار والعث حتّى أزيدها تنصلي الوقع منها ؟

صحيح أنّها خلّقت لي علّة مزمنه.. لكنها التّاريخ.. أجل التّاريخ.. بي.خ. سحقا لتلك الكائنات الخفية البشعة إنّها تختفي وتهتدّد صحفي.. آه صحفي.. إنّ كلّ ما تحتاجه للبقاء.. قليلا من أشعة الشّمس والضوء..

صعد الحمال وانتصب عند الباب، طلعت إليه من جلبتي الدّاخلية. قال مبتسما وراء نظرائه التي اندلقت عبر الأرجاء المكشوفة من الدّار يمشطها فضوله الوقع :

- هيه.. هل أبداً على بركة الله ؟

قلت دفعة واحدة أصبّ الكلام على وجهه :

- أريد بناءً.. هل تعرف بناءً جيّداً ؟ عندي غرفة واسعة تفمر أرجاءها الشّمس، سأشطرها غرفتين أخصّص إحداها للصحف.. لقد عدلت عن التفریط فيها.. أنّها التّاريخ.. رغم ما فيها من عث.. هل تعرف العث ؟

رفعت رأسي أنظر إجابة لن تأتي من الحمال، رأيت ثقبتي أنفه تتسعان، وهالني تصلّب عروقه وبروزها عند الرقبة، ضغط عليّ فكّيه، تقدم عبر الرّواق يمخر الجليز ببصره.. سدّد نحوي بياض عينيه، ثم تهامل سيل احتجاجات ملفقة، تصبّ كلّها في نقطة واحدة رئيسية تتمحور حول إهداري لفرصة كان سيجني منها الخير الوفير، مع تاجر أغنام أو دجاج لم أفهم بالضبط.

صمت فجأة وتطلّع إليّ. كنت أنفّس في وجهه، وأتملّى من ملامحه..... هذا الوجه ليس غريباً.. رأيته من قبل خارج هذا المكان.. خارج هذه المدينة.. كذلك عربته.. ولكن على غير شكلها الحالي..

قلت له بين شرودي :

- يبدو أنّي أعرفك من زمن.. صورتك رأيتها في زمن مضى غير هذا الزمن، وكذلك عربتك.. أجل.. صورتك رأيتها في إحدى الصحف المركونة في بيت الخزين.. عربتك في مقدّمة مظاهرة ما.. مظاهرة لعمّال أحد المصانع في مدينة ما من العالم.. متى ؟.. في أيّ تاريخ ؟.. لا أذكر.. لكنني حتما سأذكر ذلك وسأجد الصّورة..

رأيت الرّجل يعجل بمغادرة المكان حيث كان يرغو ويزيد.. لم ينتظر أن أدفع إليه ما يجبر ضرره، المزعوم..

ظلت ملامح وجهه عالقة بذاكرتي تحقّرنني للبحث عن الصّورة.. أذكرها جيّداً..

حمال يستند إلى عربته.. العربة سدّت إليها لافتة خطّ عليها شيء ما.. تتقدّم متظاهرين متوترّي الملامح.. قبالتهم حائط من البوليس والخوذات والعصي والتروس.. لا بدّ أن أجد الصورة.

إصطفق الباب وراء الحمال. كان يبدو وهو يغادر كمن يفرّ من شيء ما.. عدت مباشرة إلى بيت الخزين.

غاصت قدمي في ركام ظهر فجأة على الأرضيّة الرطبة، لا هو من طين ولا هو من رمل، ركام هشّ متناثر ينثال من أكّداس الصحف. لم أضع الكمام، ولم تجتحي موجة العпас، ولم ينتبني قلقي من الكائنات المجهريّة الخبيثة.. إصرار متزايد في داخلي على العثور على الصورة.

الصورة.

الصورة..

الصورة..

أغوص بين الصحف بأصابعي وأنفذ بها إلى قلب الركام.. لم تكن أصابع عادية.. لا يداي عاديتان..

لا جسدي عادي..

ولا ساقي عاديتان هما أيضا..

استدرت أحرك جسمًا هائلًا غريبًا، بسيفان كثيرة وأصابع لا تحصى.. عند الردهة. كانت المرأة الكبيرة تعكس لي أجزاء من الجسم الغريب الذي أجره

ويجرّني..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أرضة عملاقة.. سيّدة المكان.

في الأسفل، راحت جحافل الأرض الخبيثة تفرّ مبعثرة، وفي غرابة مثيرة مضت تشدّ شهيتي.. شهية متفائمة تهزّ معدتي، وانفتح فمي بشكله الغريب، وامتدّ منه لسان عجيب ومضى يلاحق الدويبات المرتعبة في فرارها غير المجدي.

استعادت معدتي هدوءها حين سكن كلّ شيء..

لم يعد هناك شيء يتحرّك على البلاط وفي بقية الأرجاء. الساكنة إلّا من لهاث هذا الجسم الذي هو أنا..

في بيت الخزين، رأيت ركام الصحف وقد زایلها الإصفرار.

لقد عاد للورق بياضه.. يبدو كما لو كان خارجًا لتوّه من بين دواليب المطبعة. الآن بإمكانني البحث عن الصورة.

مسعودة أبوبكر

## إردك، إردك

بقلم : محمود بلعيد

هاهي تمر... فسيرها يجلب الانتباه، وهي تعتمد على رجلها اليسرى.. يشعر بذلك من يتوقف نظره عندها..

تتحرك شفتاه عند مشاهدتها حتى صار يناديهما بينه وبين نفسه «إردك، إردك»... هو شاب وطريقه كل صباح يعاكس طريقها... فإن كانت منحدره مع شارع باب البنات فهو صاعد إياه أو مترقب الحافلة في ساحة باب سويقة للذهاب إلى المعهد العلوي في الربط الآخر، ونادرا ما يلتقيان في باب بوسعدون...

هي كأنها تقول في سرها أثناء سيرها وهي شاعرة بعرجها الخفيف... تقول للذين ينظرون إليها بأعين متشهية... أنا أمعكم، أمعس قلوبكم، وأدوس عليها برجلي هذه، عند كل خطوة أخطوها...

هي جميلة لكن الكلمة لا توحى شيئا لفظة جميلة لا تؤدي الصورة، صورة هذه الفتاة بالذات وهي في مقتبل العمر ولا كل الفتيات والنساء الجميلات... فكلهن مختلفات ولا يشبه جمال الواحدة منهن الأخرى إلا فيما قلّ وندر...

..وجهها، إن حاولنا وصفها، يحقّ به شعر أسود غزير، ناعم كالحرير، حالك السواد، يلتصق بالخدّين والجبين وينحدر إلى الكتفين ثم الظهر... العينان مستديرتان كستنائيتان، لهما بريق واعتداد وثقة في النفس وأشياء أخرى غريبة تنفرد منها، لا يديم النظر إلى وجهها طويلا، سمرتها خفيفة مشربة بحمرة لانقول إنها سمراء، ولانقول بيضاء فهي بين بين، الحاجبان رقيقان شديدا السواد كشرعها الفاحم، يحفّان بالعينين فيزدادان رونقا... على شفتيها قسوة، فهو يشعر بتلك القسوة من خلال تكاميش ضئيلة، يتفطن لها وهي تضم الشفتين، ويزداد ضمّها للشفتين إن شعرت بالأعين مصوّبة نحوها... يتملأها رغم ذلك.. ويطيل النظر إلى جسدها المغربي... وتعود له لفظتا «إردك، إردك»، وتتحرك لهما شفتاه.

العيون دائما ترمقها، تتملى وجهها وجسدها المغربي وتخفق لها القلوب وتضجّ الصدور بالأهات... وهي من ناحيتها تعلم كل ذلك، وكأنها تقرأ في عيون الشبان وخطواتهم المضطربة... وكأنها بارتكازها على رجلها اليسرى تجيب، وتقول بشزر مابعد شزر، عند التحرك الطفيف لشفتيها والاسراع في السير بثقة، ودون ارتباك : «هاأني أدوس قلوبكم المتأججة وأنا لها بالمرصاد...» وتتابع سيرها وكأن القلوب تنن تحت رجلها... هكذا خيل له وكذا ذهب به الإعتقاد... أدوسها برجلي هذه اليسرى... ولا تعجل، بل تتابع سيرها بكل ثقة واعتزاز...

...فهي من عائلة ثرية، أو غير بعيدة من الثراء.. هكذا ذهب به الاعتقاد أيضا مع مرور الأيام... فالذي لاشك فيه، أنها بعيدة عن الفقر والاحتياج كل البعد. هذا ما شعر به من أول نظرة وأول وهلة شاهدها خلالها... فزيها يويحي بذلك، وكذلك مشطة شعرها ومحفظتها السوداء من جلد التي لا تفارقها وهي ممسكة بها، قابضة عليها بيدها اليمنى... لها أخ يضع نظارات على عينيه لم يصل إلى شهادة البكالوريا... أنيق أناقة الذين تركوا لباس الجبة والبرنس والبدعية وقلّدوا في ذلك العهد الأجانب، في الحي الأوروبي، وأمعنوا في لباس السورية والكسوة، وربطة العنق، رغم صغر السن... وتشبّثوا بزي أوروبي كلاسيكي فصاروا وكأنهم لصغر سنهم يرتدون لباس الشيوخ والمتقدمين في السن فكانهم، إذن، عندما يرتدون هذه الملابس يندفعون إلى الحضارة الغربية ويرتمون في أحضانها بتعطش كبير... ربطة العنق الحمراء، إذن، حول العنق دائما، والسورية بيضاء دائما وأبدا، والكسوة الداكنة والنظرة هي هي وراء النظارات.. فالنظارات الطبية تجعل عينيه صغيرتان كأنهما كجتان، قائم الأنف جدا وأنفه أحمر جدا في الصيف والشتاء. وفي كامل فصول السنة فكانه استعاره من فرنسي من الفرنسيين الذين يقلدهم ويفني في تقليدهم أو اكتراه بضمن باهض وكذلك العينان والرأس والكسوة والمشية والنظرة وكل شيء... النظارات إذا وضع بل زاد فوقها نظارة شمس كشيخ قدام الفرنسيين الذين يشاهدهم في الأحياء الأوروبية في تونس تغيب عيناه وتحتجب تماما وراءها متقية وهج الشمس. وشدتها عليه، كاتب في بنك أو موظف بسيط في إدارة... هذا تقريبا أخوها، كما تصوره...

ربما تكون من ناحتها، وحيدة أبويها أي الأبنة الوحيدة وأبوها شيخ من الشيوخ، يرتدي الجبة والبرنس منذ صغره، فهو لا يعرف غير الجبة والبرنس، والطربوش على الرأس... تاجر من تجار أسواق المدينة، تاجر أقمشة من الصوف والحريز ورث الدكان عن أبيه وجده... ونشأ نشأة تقليدية... ونشأة ابنته نشأة عصرية فيها كثير من التكلف كأخيها وخرجت على المدينة سافرة دون حجاب... أبوها يكظم غيظه وقلبه يؤلمه ويوخزه تسير في الشوارع فلذة كبده، بجمالها الغلاب سافرة بين الناس، وعيون الذئاب المتفردة تكاد تلتهمها التهاما... فالمعطف، هكذا يعزّي نفسه بالمعطف، المعطف يغطي الجسد ويحميها ويحفظها فهو عبارة على حجاب يستر العورة تماما والفتاة عورة وجسدها عورة... هكذا يقول في نفسه لنفسه معزيا... ويكرّر عليها دائما وإن لم يكرّر عليها فهي التي تعيد عليه وتهمس له مكررة كل هذه الأقوال وربما أكثر كلما عادت إلى البيت أو خرجت في الصباح الباكر، متجهة إلى المدرسة أو عائدة منها عند منتصف النهار أو في آخر العشية، ابنته الوحيدة، درته المكنونة، العزيزة على قلبه وفؤاده...

في يوم من الأيام أو في ليلة من الليالي، تقف شعرة سيدنا علي، يهب واقفا صارخا مزجرا، ويتخذ موقفا لا رجعة فيه ويحرم عليها الخروج من البيت كلّفه ذلك

ماكلفه... ويعود يقول مهدئا نفسه المعطف هنالك المعطف.... ولولا المعطف متركها تخرج إلى الشوارع... ثم في فصل الصيف والربيع وفصل الورد دون معطف... هذه حكاية أخرى، لكن أغمض عينيه نصف إغماضة وأسلم أمره لله في نهاية الأمر... وصوت زوجته يعود عليه ويهدده هامسا... «اعمل عقلك يا رجل، هي بنت عصرها، وعصرها غير عصرنا... هي ككل الفتيات... وماذا ينقصها لكي نسجنها... والفتيات بالعشرات في الشوارع هذه الأيام.. أتريد أن نرسل وراءها الخادمة مبروكة، فيضحك عليها كل من هب ودب !!!».

«إردك، إردك، تكثر من أكل مرقة اللوبيا، هذا ما يعتقد دائما، والبرتقال في فصل الشتاء، والحلويات لا تغيب عن الدار، كامل السنة... تنتهي صينية فتحضر أمها صينية جديدة والقزادر مملوءة بكل الأنواع من بقلالة وغريبة ومقروض وكعك وطواجن والكعابر بألوانها... فسي الطاهر يروق له أن يمد يده إلى الصحن ويحشي واحدة في فمه، من حين لآخر، في السهرية وبعد الظهر قبل أن تأخذه عينه وينام ساعة القيلولة... والصحن على المائدة لفظور الصباح لشد القلوب وتقويتها والنهار طويل... والصحلب في الصباح قبل الخروج إلى المدرسة في فصل الشتاء، تقوم له الخادمة مبروكة في السادسة وتشعل الكوئين في المطبخ...».

«إردك، إردك، ماسكة نفسها بل جسدها شاد نفسه بصعوبة كبيرة - وهو يروم الانفلات - مترقبا الزواج ليفيض فيضانا فيزداد عرضها عرضا وطولها طولاً في أيام وأشهر قلائل حتى تصبح كأنها تماما فتكون الكارثة ويزداد العيب، على الساق التعبانة أي الساق اليسرى ويحدث ما لا يحمد عقباه... فإلى الآن ينتظر الجسد بفارق الصبر زغاريد الانطلاق... أمها، فهمها دخول الأبواب وخروجها منها، اشتكت مرات للحاج، ولعنت البنائين القدامى، وكيف كانوا في قديم الزمان لا يولون أهمية إلى اختيار الأبواب العريضة لتسهيل اجتيازها والتنقل والأخذ والرد بين الغرف والحجرات... إن مرت فهي تمرّ بالعرض كما تقول للحاج، وتعيد وتلقي على مسامعه أثناء القيلولة وعندما يتساران قبل النوم في أول الليل، وهما على السرير والسرير يتن من ناحيته ويعوي من حين لآخر، تحت نفل الحاجة والحاج إذا كثر تحركهما...».

الدار عبارة على مزيج بين دار عربي وشقة على النمط الغربي أي عليّ فوق دكان تجارة لبيع زيت الزيتون فلنقل دكان عطار، بالجملة، بالجملة، ذا باب أزرق طويل عريض يدخل شاحنة بأكلها أو شريطا، بخيله... وعلى جانبي الدكان أكياس السميد والفارينة والحمص والفول والعدس وصفائح الزيت وشرائط الفلفل شايع... والصانع الأسود بين العملة، رأسه كأنه حبة زيتون تلمع، هائلة، عظيمة الحجم، خرجت توا من برميل من البراميل في قعر الحانوت... وهو في كدرون قد تحول بياضه، وشاشيته حمراء، يتنقل في عرض الدكان وطوله بين الصفائح المتعددة، وأكياس التمور الجافة الملتصقة ببعضها البعض، كأنها أكياس إسمنت... العرف متسلطن على الكاسة،

منتصب يأمر وينهي ويعلو صوته على العملة وعلى الباعة والمشتريين، فصلفه وعنجهيته لا حد لهما... إن خرجت البضائع بعد كيلها أو وزنها ودفع أثمانها ثم دفعها إلى خارج الدكان... فكان المدينة كلها واقفة على ما في المتجر وما يطلع منه، وكأن الأيام أيام حرب، ولا توجد الجيوب والقموح والتمور والزيت والتوابل إلا في حوزته وتحت سقفه لاغير...

تجلب الانتباه عندما تمرّ، فذلك لا شك فيه، فسيرها ليس كسير سائر الفتيات والنساء... ويعود إليه إسمها حالما تلوح في شارع باب بنات وتقع عينه عليها تتحرك لها شفتاه... إردك، إردك... الأعوام تمضي وكم داست من قلوب... يقول في نفسه... كم داست ومحقت من قلوب تحت قدمها... وتتابع سيرها وتنقلها في الأنهج والشوارع باهتزاز ونشاط، ذاهبة إلى المدرسة أو عائدة منها ملتفة في معطفها الأسود الأنيق الطويل حد القدمين والفروة حول الرقبة إن كان الفصل فصل شتاء... وفي بدلة ليست بعيدة عن السواد وعن طول المعطف وعرضه إن كان الفصل غير فصل الشتاء... نظرتها دائما هي هي، وزم شفتيها هو هو وفيه مافيه من الصلف والاشمزاز... فبخرجها وتوجهها للمدرسة ثم المعهد فيما بعد وتنقلها في الأنهج والشوارع فكان المدينة كلها واقفة على ظهورها وتنقلها في الحي والأنهج والشوارع... كما هي واقفة على كل ما يخرج من متجر أبيها... لا تنظر للمارة مباشرة كأنها بقرة، لكن لها كما لغالب الفتيات تلك النظرة الخفية الجانبية التي لا يفتن لوقوعها حينما تحط... تمرّ وتتابع طريقها وكأنها لاتهتم بما حولها ومن حولها على الأخص، وهي على أشد ما يكون من الانتباه واليقظة إلى كل مايتحرك... <http://Archivebeta.Sakhrit>

يعتقد اعتقادا راسخا أنها تتصرف هذا التصرف لا غيره... ولا يثنيه عن عزمه واعتقاده رأي آخر، وذلك منذ يوم جلبت انتباهه...

أنا لكم بالمرصاد يا أنذال، ولا تخفى عني خافية... ورجلي هذه تدوس على قلوبكم... إردك، إردك، وتسرع وتتابع طريقها بحزم وعزم... ويحقد ظاهر يشعر به واضحا جليا على شفتيها، وصفحة وجهها... يمر بجانبها ويقول رجعا لصدى ما يختلج في أعماقها، وشفتاه تتحركان : إردك، إردك، ويطيل ويتابع طريقه، وقد ازداد وجهها احمرارا وشفتاها انظماما... ثم يبتعد، وينساها، وطريقه غير طريقها ولا يتذكرها إلا عندما يلتقيان، ويشاهدها مرة ثانية.

صديق أخيها صاحب نظارات سمكة مثله وموظف من بين جملة الموظفين القلائل مثله ويتحرك تحرك الديك الرومي مثله تماما. صديقه العزيز كما يقال ومن أعز أصدقائه ومن أكثرهم له مودة وصداقة إلى أن صارا كنفس واحدة، أو كأخوين توأمين. حدثته نفسه في شأنها وألحت عليه مرارا ولم يجرو يوما ويروح لأخيها ما يختلج في أعماقه... ولمحها بل انتصبت أمامه بقدها ومشطة شعرها يوم عيد أمام باب بيت صديقه... دق الجرس ففتحت الباب. استقبلته وابتسمت له وبدورها فكانها حدثت



نفسها مثلما حدث نفسه، نفس الحديث الحلو... ابتسمت له وهي في أتم زينتها وقالت له دقيقة ولحظة أخي الطاهر ينزل... وغابت ثم عادت قائلة تفضل وأدخلته الدار ثم بيت الصلاة، ورفعت الستائر من على النوافذ بخفة... ثم قدمت له قهوة بالحليب وصحن الحلويات وأدنت منه المنضدة الصغيرة ثم احتجبت عنه، بعدما اشعلت قلبه فالتهب التهابا... كانت تنتقل بخفة وروح مرحة بين يديه متجهة إلى النافذة والخزان والمطبخ وغاب في الأثناء ذلك الارتكاز على الساق ذلك العرج الطفيف الخفيف اللعين، انتهى تماما بمجرد السرعة في التنقل ودقات الغرام وظلت رشيقة طليقة، بل أكثر من ذلك فكأن امتزاج رائع يتفق فيه كامل جسدها النابض، الطافح حيوية ونداء للحب والوجد فانقلبت في دقائق معدودات وازداد وجهها احمرارا، وجمالها بهجة... فكل مهجتها وروحها حورتهما يد ساحرة بضربة عصا، في دقيقة ولحظة... فسحرت لبّ صديق أخيها وأخذت محبتها بمجامع قلبه، وشدت عليها شداً وقيدته قيداً دون فكاك... باختصار كبير وقعت في قلبه كقطعة شهد وتمكنت منه !!!

ظل مسحورا فاقد الأنفاس مبهورا لا يدري ما يقول ولا ما يفعل كامل العشي حبة أخيها... يتبعه في التنقلات كعلوش ويجب على الحديث باقتضاب أحمر الوجه، غائب بعقله حاضر بجسده وصورتها لا تفارقه إلى أن فطن صديقه في آخر الأمر وقال له أنت لست، في صحنك، لست كالعادة هذا اليوم ما بك يا مصطفى؟؟ فلم يجب عن السؤال بالطبع بل قال له: أنا اليوم أنا اليوم لست في صحنى... صحيح لست كعادتي... بالفعل لست كعادتي... وباختصار شديد فقد ضُعن بحبيها.

عاد إلى بيته في آخر مساء يوم العيد وكان ذلك اليوم عيد الفطر، كالمجنون كالمخبول بل كمسلوب القلب والفؤاد... قال لأمه، باح لها بسرّه وحكى لها كل ما يعتلج في صدره... فرفعت صوتها وصلت على النبي وانطلقت الزغاريد من فمها... وفاضت دموعها وهي تقبل ابنها الوحيد فلذة كبدها، وتقول في الأثناء: الله الله مصلي على النبي، الله يبارك ويزيد، والله ياوليدي والله والله أنت ابن حلال وأعطاك ربي بنت حلال... بنت الحاج الطاهر، وأخت صاحبك وصديقك وحبيبك...

كل ذلك ممكن جدا وعادة ما يحدث بين الأصدقاء وأخوات الأصدقاء... وهو يكبرها بعشر سنوات وربما أكثر... وتمت الخطبة ثم الزواج... وقضى شهر الشهد والعسل المصفى في جزيرة جربة...

\* \* \*

غابت عن ناظره... مرت الأيام والأشهر والأعوام... ونسيها، فكالعادة حالما تمر وتبتعد وتغيب ينساها تماما ولا يعود يفكر فيها إلا عندما تمر من جديد أمام عينيه... مسحت من ذاكرته... وغاب بدوره كل هذه الأعوام فهي لا تقربه في السن بل تكبره بأعوام وهو لم يتجاوز سن الرابعة عشر آنذاك وهي ذات تمايل وقد ونهوه وزنود تحت المعطف والفسنان الداكن المنحدر إلى الساقين وطوال الذراعين إلى أن يصل إلى الكفين

فيضطرب في الحقيقة لمرآها ويفزع في الآن نفسه ويهوله أمرها ويعظم عليه جمالها وروعها ويخفق لها قلبه خفقانا غريبا ويفزع أو لا يفزع وهو في تلك السن المبكرة، يريد أن يكتشف تلك الكنوز واللائي...

ربما تكون الفتاة في نفس السن فتتزوج ممن هو أكبر منها بسنوات كثيرة... وتتحطم الأحلام وتتغير سحتها... وتجنب ماشاء الله من الأطفال... والشاب لم يتزوج بعد...

مرت وشاهدها... هكذا دفعة واحدة بعد كل الأعوام التي مرت وانقضت... شاهدها في باب بحر، في شارع فرنسا، تحت الأقواس لمن يعرف شارع فرنسا وأقواس المغازة الكبرى في تونس المدينة، إردك، إردك، تحركت لها شفتاه..

هاهي تمر قبالتها وطريقها يعاكس طريقه... هو متجه إلى الأسواق، وهي وكأنها خارجة منها، حاملة قراطيس ومتجهة إلى الحي العصري... شارع باريس والحبوب بوقيبة وشارع قرطاج... المشية هي لم تتغير... كم من أناس عرفهم وتذكرهم، وهم يمرون في نهج من الأنهج، وهو خليفهم أو غير بعيد عنهم، أو هم في جانب من الشارع، وهو في الجهة الأخرى منه...

الوجه، غاب رونقه وجماله وعبثت به أيدي الأعوام والسنين وملأته تجاعيد... الشعر ينحدر حالك السواد، وقد لعبت به مساحيق قاعات الحلاقة... لا تجلب الانتباه، الجسد ترهل وغابت نضارته من زمان وفقد عنفوانه وجاذبيته... وفقدت تلك القلوب التي كانت تدوس عليها، فرت وابتعدت... ظلت تبحث عنها بعينيها، وعمن يتبعها بنظره... أو تحين منه التفاتة نحوها!!

محمود بلعيد

## ما لم تعرفه النيابة في حادث مقتل العمدة (محضر غير رسمي)

بقلم : موسى نجيب موسى

الليل يرش سواده على القرية والسكون المميت يجثم على القلوب قبل البيوت فالعمدة الذي قتل منذ أيام كانت له سطوة عظيمة على الجميع سواء في القرية أو خارج القرية كانت الشائعات تتناثر حوله بأنه (مسنود) من مسؤول كبير في الدولة وبعض الشائعات كانت ترمي إلى أنه كان على علاقة قوية مع مسؤولين أجانب وكان يشاع بأنه يتاجر في الآثار والبعض قال انه يتاجر في السلاح وان اسمه جاء في تحقيقات فضيحة (إيران جيت) والبعض قال أن العمدة كانت له علاقات قوية بالمافيا الإيطالية حيث انه كان يساعدهم في تهريب المخدرات إلى مصر... ونظراً لأهمية العمدة في الخارج فقد قررت الأمم المتحدة إرسال قوة دولية لحفظ الأمن في القرية حتى تنتهي التحقيقات وقد قوبل طلب الكونجرس الأمريكي في إرسال لجنة فيدرالية لتقصي الحقائق بالرفض والقرية منذ ذلك اليوم المشؤوم تعيش في ليل طويل لم يطلع نهاره بعد فالبنادق والرشاشات الآلية مصوبة نحو مداخل الديار وصدور أهالي القرية ولا أحد يستطيع أن يدخل أو يخرج من داره بعد صلاة المغرب فالحظر فرض على جميع أهالي القرية والقرى المجاورة... الكل التزم الصمت والكل التزم الديار مهما كانت الضرورة في الخروج حتى انه ذات مرة كانت امرأة، حمدان، تعاني آلام المخاض وحاول حمدان أن يحضر لها القابلة. ولكنه لم يستطع فقام هو بتوليدها وأنجبت له ذكراً.. فرح حمدان كثيراً وعندما كان أحد جنود القوات الدولية ينادي زميله، بيل، اسمي حمدان ولده على اسمه تيمناً وبركة... وأبو سليم، مات من الحمى التي هاجمته في إحدى ليالي الحظر وحاول ولده، حسان، أن يحضر حكيم الصحة الذي يسكن قريباً جداً من منزلهم وعندما حاول الخروج رطن العسكري الأجنبي بكلمات لم يفهمها فصوب ضابط مصري بندقيته نحو صدره وقال له... خير لك أن يكون متوفياً واحداً في البيت من اثنين ومنصور ابن أبو الفرج، كان عائداً ذات ليلة من الجيش ولم يكن يعرف ما حدث بالقرية فاقفاده إلى حيث لا يعرف أحد مكانه ولم يظهر حتى الآن. الناس في القرية سئمت الحياة وسئمت الحال الذي وصلوا إليه وكلهم في انتظار معرفة القاتل حتى يرتاحوا أو يزول الكابوس. النيابة مازالت تجري تحقيقاتها وتدوّن الأرقام والكلمات في دفاترها وتملاً خاناتها الخالية وتأمر الشرطة بالقبض على المشبوهين ومن تحوم حولهم الشبهات والذين من بينهم، عفان أبو حميدة، الذي يعتقد الجميع أنه غسل عاره بقتل العمدة ويقال إنه بذلك أراح أباه في نومته فالكل يعتقد أن العمدة قتل، حميدة أبو سعفان، حتى يتزوج، هنية أم سعفان، والتي كان العمدة يريد لها قبل زواجها من، حميدة، ولكن والد العمدة رفض

لأن هنية، ليست بنت ناس حتي يناسبهم ويزوجها لابنه الوحيد..

وأصر على زواجه من مصر وتم له ذلك... ويعزز هذه الشبهات التي حامت حول «سيفان» أنه اختفى عن العيون منذ مقتل العمدة وعجزت الشرطة عن معرفة مكانه فكل الذين تم استجوابهم لم يعطوا جواباً شافياً فمن قال أنه شاهد «سيفان» يدخل جامع سيدي الشيخ «أبو بكر» ليصلي المغرب... ومن قال أنه شاهد «سيفان» يجلس أمام رابية نار عليها براد شاي عند الجرن الموجود قبلي البلد ومن قال أنه شاهد «سيفان» يتسلل إلى ضريح سيدي «مبروك» ومن قال أنه شاهد «سيفان» نائماً في ساعة ظهيرة عند ساقية العمدة غرب البلد ومازالت الشرطة تبحث والنيابة تتابع وتملأ الخانات وتجمع التحريات وتواصل التحقيقات وفي مساء أحد الأيام أذاعت شبكة (c.n.n) في أحد تقاريرها الإخبارية الذي كان مخصصاً عن ظاهرة النأر في جمهورية مصر العربية خبراً عن مقتل العمدة وأشار التقرير إلى أن العمدة قتل بأيدي غريبة وقد شوهد بعد خبر قتل العمدة صورة «سيفان» وهو يضاجع «ناعسة» الغازية في قلب الطاحونة القديمة...

وبعد إذاعة الخبر حدثت أشياء كثيرة في القرية وخارجها فالجنود الأجانب رحلوا.. والمصريون أيضاً وفكّ حظر التجول عن البلد وتنفس الأهالي الصعداء وخرج المسؤولون كل واحد بتصريحاته...

### مسؤول أول

ظهر على شاشة التلفزيون عقب نشرة الساعة التاسعة وقرأ بياناً أوضح فيه أن العمدة قتل بواسطة المافيا الإيطالية لعدم إتمام صفقة سلاح مهمة...

### مسؤول ثاني

قام بعمل مؤتمر صحفي قال فيه أن العمدة قتل بتخطيط أمريكي وتنفيذ الموساد الإسرائيلي لأنه كان سوف يدلي باعتراضات خطيرة في القضية الشهيرة (إيران جيت)

### مسؤول ثالث

نشر في صحف صباح اليوم التالي تقريراً يفيد بأن العمدة قد مات ولم يقتل حيث أرفق بتقريره صورة من تقرير الطبيب الشرعي بأن العمدة كان يعاني من السكر وضغط الدم والقرولون العصبي وأمراض القلب.

في مساء نفس اليوم أذاعت شبكة (c.n.n) تقريراً آخر عن حادث مقتل العمدة أوضحت فيه أنها لم تقصد بالأيدي الغريبة التي قتلت العمدة بأنها من خارج القرية أو خارج مصر كلها ولكنها قصدت بالأيدي الغريبة أنها غريبة في شكلها لأنها كانت مقطوعة حيث أوضحت أن القاتل هو أحد خفراء العمدة والذي قطع العمدة يده عندما شاهده يحاول أن يدهسها في مفرق مقعدة «ستوته» خادمة العمدة..

وقد قتله هذا الخفير ثأراً، وكذلك لأنه شاهد ذات ليلة - ليلة قتل العمدة - يبول على ضريح سيدي المبروك وهذا ما أثار حفيظة الخفير فما كان منه إلا أن استل سكيناً وغرسها في صدر العمدة ولم يتركه حتى فارق الحياة.....

موسى نجيب موسى

نهر الهجب وقصر الذهب !!  
«لمحات من فصل الأشباح» (\*)

﴿3﴾

بقلم : يحي محمد

قال أبو القمام تاريخ :

يحكى في غابر الزمان وسالف الانسان أن مدينة نهر العجب وقصر الذهب شهدت الكثير من الظواهر الغريبة والأعراض العجيبة، منها جرثومة النصب، التي جرفتها مياه النهر الصفراء. يومها انتشر الفرع بين شيوخ وأعيان المدينة، إثر ذلك ظهرت أشباح مهزوزة مهموزة اكتسحت الشوارع والساحات تمشي على رؤوسها في رقصات لاسالف لها، أنت إثر بروز جرثومة النصب... تتعثر في مشيتها.. تهتز تحفز تقفز، عندها اختلف الناس في وصفاتهم أعراضها وسبب زحفها.. وفي غمرة هذا التيار وحكايا الأسرار التف الشيوخ حول حلقة كبيرهم وقد سيطر على وجوههم الوجوم، وبعد صمت طويل قال كبير الشيوخ :

- إن جرثومة النصب التي قذف بها نهر العجب هي من شظايا شيطانية وذات

أفعال عكسية !

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ردّ بعض الشيوخ هازنا :

- أي أفعال هذه وماهي مصدرها لقد مات بسببها الكثير وهذه الأشباح التي

ظهرت فجأة تعيث في المدينة فساداً من بعث بها إلينا ياترى ؟

قال الشيخ بتأثر :

- كل من شاهد هذه الأعراض يبقى مشدوداً بخيوط اندلاعها في وقت واحد فما

أذيع وما أشيع هو خداع مريع !

.. الأشباح تمشي على الرؤوس في نكوص.. محسوس مرصوص منحوس.. ماذا

يراد من الجرثومة وهجمة الأشباح المعلومة.. إن الفاعل الرئيسي هنا أو هناك معروف

أو غير معروف يخفي سموه وهمومه.. الأشباح ترقص على وتر ملحاح فضاح جراح..

جرثومة النصب في لهب وصخب تخطف الأبواب تزيل العقل، تقمع تخفض ترفع تحرص

تربص بلحظة الإفك والسفك.. فكل شي. يدقّ على الأبواب.

- عجباً يحدث هذا في مدينة معصومة معلومة في الواقع والخيال.. مدينة كانت

(\*) يراجع الفصلان السابقان في العددین 109 و112 من «قصص».

في حلّ ممّا وقع.

- هكذا خرجت المدينة من شهر العسل وهي الآن في ضبابٍ خلّابٍ قلابٍ !

لكن شيوخ المدينة وقفوا وقفتهم الحازمة إزاء الجرثومة والأشباح !

قال - أبو القمام - تاريخ :

- يا أهل نهر العجب وقصر الذهب أنتم اليوم تحصدون مازرعتم بأيديكم...

عودوا إلى قراءة ماكتبتم من قصص وأساطير في هذه الأرض. قصة الجرثومة والأشباح

ماهي إلا بداية بل هي زوبعة فئجان !

رد أحد الشيوخ في حيرة :

- لقد بدأت الأشباح المقلوبة تزيج الستار عن وجهتها المحسوبة إنها تعصف بنا

بتاريخنا، فاض الكأس يا ناس... إنه ياجوج وماجوج. وشياطين من قوم «جالوج وراجوج» !.

عاد كبير الشيوخ مردداً :

- حذار من الاستسلام والفشل.. إن مدينة نهر العجب وقصر الذهب لا تهزم..

إياكم والخوف إن الأشباح وجرثومة النصب في لهب إذا ماوقفتم وقفة الرجل الواحد..

«واه واه، فاه فاه واويلاه...» إياكم والجبن.

عادت الأشباح إلى الصراع في الشوارع والساحات. مطمئنة الرغبة طافحة النشوة

قصتها مع القوة، في السرّ والجهر.. اسمعوا وعوا. اليوم يوم الأشباح بلا رؤوس ولا

أرواح، تجمع وتحصد. تقصف وتعد أي شبهة في المهد والحد ومنتهى القصد.. أينها

المدينة الحاملة السابحة في بحر الشعر والرقص دنيا الخوالج والأحاسيس. لقد أخرج

العود وهاج البيض والسود وماج الرق الموعود.. فماذا صنعتكم في صراكم الدامي،

وجرمكم الحامي.. حين تختفي القوة وتنتهي «الدرة» تسلب الأشباح الأقداح. عندها

تكون القصة مفسوحة. والآن.. جرثومة النصب في لهب وصخب، الأشباح في زحفها

تترامى في غرور وشرور سكان مدينة نهر العجب وقصر الذهب ليس لهم في الوقت

الحاضر من المال أصفاء ومن الذهب أحلاء.. اسمعوا وعوا اليوم يوم الأفك حذار من

الانتقام والسفك.. «واه واه، فاه فاه واويلاه...» !

لا ينفع العقال في الدار إذا الضباب جارو أحكم الحصار.. سوف لا تخرج المدينة

من وضعها إلا بالأدب والشعر في السرّ والجهر بين حلو الكلام ورقيق العواطف ودحض

الوساوس والجبروت والأوهام.. يمكن أن تعود مدينة نهر العجب وقصر الذهب إلى قمة

الأرب بالأدب، به ترول الجرثومة وتختفي الأشباح الموهومة.. انظروا كيف تصرخ في

جوهكم.. «واه واه، فاه فاه واويلاه...» ترى هل تفهمون هذه الحروف وأنتم على

سراط الخوف.. هم في لجج النشوة فوق كل السدود والحدود.. ينقدون يسغرون

يمرحون يسرقون يرقصون اسمعوا وعوا يا أهل النهر العجيب والقصر الغريب.. القوة

في الأدب وبالأدب في الشعر والشعر وليست في السطو والمخدرات والقهر. القوة في

ترك القوة. بدون «مزية أو مروءة» أدبكم في عيونكم وهذا شأنكم رجالا ونساء فكراً

وطبيعة وعلى القوة السلام !

اليوم يومكم وغداً أمر غيركم.. اقتطفوا من الشعر أجوده وأشهائه ربما يأتيكم من لا يترك فيكم بيت شعر واحدة، صيحة إطراره وإثراء.. من طبيعة الشعراء سكان مدينة النهر العجيب والقصر الغريب الإمتزاج الوهاج والغوص في بحر النفس إلى العنق.. في جهد وأرق..

- قال أبو القمام تاريخ :

يا قوم إياكم والرجعية وهم الرعية.. فقد طغى من قبلكم رهط عظيم أكلوا الذهب والفضة والجسور والقصور، مشوا على الرؤوس دون أدنى إحساس بما في النفوس من عبوس وما في الصمت من دروس !. إسمعوا وعوا يا أشباح اليوم أشباه الأمس، الناس في زمانكم بلغاء وبلهائه فاحذروا كلما تهتم الرومانسية وقصائدهم الشعرية.. انظروا كيف استطاعت كلمات بسيطة جداً أن تقلب كل شيء. رأساً على عقب.. إياكم والنهم، السطو أنه تيار جارف يأكل الحرث والنسل. كما زحف قوم مثلكم في سالف الأيام وحالت الظلام حوّلوا النهر إلى خراب والقصر إلى ضباب.. فانتهاه أمرهم على عواقب وخيمة وخاتمة أليمة.. أكلوا بعضهم بعضاً، عاثوا في الأرض فساداً كانوا مثلكم مشوا على رؤوسهم، اقتلعوا الأشجار هجّروا الأحرار.. واليوم، يومكم باقوم تاريخكم قد يعيد نفسه، وعجلة التاريخ لا تتوقف تماماً - كنا عورة - الماء يحركها الريح في كل اتجاه..

لقد قامت الحروب الأهلية في اليربة، تكتب المسرحية بفصولها وألوانها وأشكالها.. أبطلها في مدينة نهر العجب وقصر الذهب من أشباح بلا عقول بلا أرواح، تأكل في نهر مغرط وجشع ملفت، وفقر يشحت ويرفت.. هم يأكلون بعيونهم لا يشبعون يتزاحمون في الأسواق يختطفون الأرزاق في دقائق معدودة.. اسمعوا وعوا العصر عصركم هذا في زمانكم هذا ومكانكم هذا إياكم والخداع ورغبة الإمتاع..

- نفسي نفسي لا يرحم من مات !

- عجباً، أنت متخوم لهذه الدرجة..

- متخوم مزكوم مهموم لا بهم..

- صحيح أنت في عصر سبق زمانه..

- زوجتي هي السبب أمري لله..

- لهذه الدرجة لاحول لك ولا قوة !

يضحك يسخر من كل الأشياء، التي تحيط به، محاط بهالة أخرى. هدم قصره وكتب جملة من فصله ثم عاد أزال كل شيء. حتى الذي بناه شيده وعلاء.. قالت له في اصرار : «القصر قصري وأنا حرة فيه.. لتفتح أبوابه على نهر العجب أرى منها الأرب الحب والنسب وقصة الرقص والطرب بين الأشباح وقد عادت من كهوف التاريخ بلا أرواح..»، قصتي قصتك يا مولاي أليس كذلك ؟ في النهر أشياء، لا توجد في البحر ولو دام الحصار

حتى هذا الزمان.. أي زمان وأي مكان لا تجود فيه حرّة تعرف كيف تفتح ،الصرة، وتكتب فصلا من مسرحية - الدرة - بشموخ وكبرياء.. هكذا تم الفصل في صراع الكون مع الحياة في مدينة نهر العجب، وقصر الذهب. انشئت الأشباح على نفسها، تاهت تمرغت زاغت عن استقامة العود في الظل..

.. العصر عصر المشي على الرؤوس في نكوص بين اللصوص، يختفي البعض في غموض النصوص ولجج النفوس.. قصتي قصتك يا مولاي في السرّ والجهر في البحر والبرّ والنهر.. أريد إضاءة كهوف الظلام إزالتها من الأنام في أيام وكبير الأشباح خرج من المألوف طار عقله ذهب مع الريح خارج الزمن عندها حاولت الأشباح العودة إلى مخبئها غير عابئة بما اقترفته من أنام فخرج سكان المدينة يهللون ويكبرون ينشدون يرقصون رقصة النهر.

.. واه واه.. شاہ شاہ.. تاه تاه.. جاہ جاہ.. أراه أو لا أراه اسمع صوته حركته قفزاته ثورته وهو يجول ويصول بين البنائين النقاشين والخرافين.. إلى حين. إلى حين !

(يتبع)

يحي محمد



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



## خيف الشرف

بقلم : الحبيب المرموش

انتصب أمام المرأة في بيت الإستحمام يندندن بلحن عتيق من أيام طفولته. جس شعرة لحية طالت وبان الشيب في مفرقها. الشيب شب في قلبه أيضا، لكنه لم يعرف طريقه إلى شعر رأسه، ما الحكاية ؟

في مثل هذا الشهر من كل سنة، يطلق العنان لشعر ذقنه يزحف مدة من الزمن على وجهه، كان يدافع عن هذا الموعد بشتى الطرق، يخلق له الأكاذيب من أجل أن يُمنح رخصته السنوية في العمل.

في مثل هذا التاريخ من كل سنة يقيم الحداد على حكاية قديمة، حكاية الأولى مع التي رحلت لكن النسيان لم يقدر على محو ذاكرها.

آه يا ديسمبر الحزين، فيك ولدت وفيك فقدت من أحببت إلى أبد الأبدين...

هكذا هو، يحب ويحزن على طريقته الخاصة.

ففي مثل هذا الموعد قُطعت نواره قلبه، داستها شاحنة بائع السمك وهي في

طريقها إلى المعهد.

فرت جميع الصداقات عندما أتجهت الآلة الجهنمية صوبهن، إلا هي ظلت مسخرة في مكانها لا تفهم ما يحدث حولها، حتى اصطدم جسمها بالجدار ثم هوى على الأرض بلا حراك. تجمع المارة وجاءت سيارة الإسعاف كعادتها بعد وقت طويل أما السائق السكران فقد فر متعثرا في خطواته. غاب عن الأنظار بضعة أشهر ثم عاد يترنح بشاحنته على الطريق من جديد، قيل أنه اشترى حرته بنقوده الكثيرة، وبرشوته للآخرين.

في ذلك اليوم أحسّ بشعور مغمم بالأس والهزيمة، بأشياء تنحطم داخله وترطم بجدار الفجعية، وهو يقف واجما في مكان الحادث لا يدري ماذا يفعل !

مضى ذلك المساء الأسود في حياته وقد عثر على بقايا أدواتها المدرسية ملطخة بالدماء، مبعثرة هنا وهناك، ظل يحتفظ بها طيلة سنوات ولكن...

- فار.. فار..

بسرعة فتح الباب. هتف: أين !

فجاء صوت زوجته المصون من غرفة الإستقبال

- الماء فار على النار، ألم تسمع ؟

أسرع نحو المطبخ ضغط على الزر الأول والثاني وهو يتأفف لقد غفل عن كل

شيء، وسرح في الماضي البعيد، تاركا القهوة تفور وماء الحلاقة يجف، همس في سره :

« ما ضرَّ لو حلقت بالماء البارد ؟ ربّما انتعشت عضلات وجهي .. وضع قليلا من معجون الحلاقة على ذقنه، غمس الفرشاة في الإناء وجعل يطلي شعر لحيته دون أن يتوقّف عن ترديد ذلك اللحن القديم، بعد لحظات نظر إلى ساعة يده مبسّما : «إنه مساء الجمعة والسّاعة الخامسة على الأبواب. لا بدّ أنّهم جميعا في انتظارى .. شعر بالزّهو ينشر رداه على جثمان يأسه العنيد، فبعد قليل سيكون ضيفا على هذا النادي الأدبي الذي يعتزم الإحتفاء به بعد غياب طويل. لقد وعده صاحب الدّعوة أن يكون أستاذه الجليل سيدي عبد الوهّاب بو... وما أدراك من بين الحاضرين.

إيه .يا حشرة، عشرون سنة خلّت وأنا ما أزال أذكر ذلك الشّيخ الوقور صاحب الجبّة الصفراء الأنيقة، واللّحية البيضاء الرشيقة، والرّأي اللاذع والفكر الحكيم، كم اشتقت إليه، فهو شاعر فحل وصاحب دعاية أصيل، على أيّ حال لا بدّ أنّه سيُسّر بملاقاتي بعد قليل، وربّما أثنى أيضا على شعري الجميل، نعم فأنا شاعر مثله، ألّم أقل لكم هذا منذ البداية ! ألّم يحدثكم عني صاحب هذه الحكاية ؟ لا .. لا .. لا يحقّ له أن يروي لكم قصتي دون أن يشير إلى تجربتي ! على أيّ حال سنُصنّتون لي هذا المساء، وسأجذّف بكم في بحار الشعر الهوجاء، فلطالما حلّمتُ بأن يصبح لي أصدقاء شعراء وأدباء، فأنا مللت من صحبة الصّعاليك ومن العلاقات العاجية الملقاة على حافة الطّريق، وأشتقت إلى أصوات الجميلات، ونظرات الفاتنات اللّآئي في انتظار عودتي على شرفات السنين.

أوفّ !إنها الوقت اللّعين : كأنّ شجرة الحلاقة ما عادت صالحة، فقد مضت نصف ساعة ومازالت على هذه الحال أحرق في البحر العنيد فلاغيرها حالا، فلم يبق على السّاعة الخامسة إلّا القليل، لا بدّ أن أحضر هذه الأمسية التي تقام على شرفي، ولعلّ سيدي المحترم عبد الوهّاب بو... صاحب الجبّة واللّحية والفكر الحكيم قد شرع في الحديث عن تجربتي معه في النّادي القديم، ولعلّهم أيضا في شوق لمعرفتي، بل لا بدّ أنّهم يتطلّعون إلى كلّ وجه جديد يقتحم بهو المركّب الثقافي، فيعتقدون أنّه وجهي ويهمسون في أنفسهم : «ها هو شاعر الفرج والبهاء... ها هو نجم المساء وقوس قزح....»

- أيّ.. آخ.. ح.. ح.. اللّعنة لقد جرحت وجهي.

أغمس الماء في الشّفرة ! لا بل أغمس الإناء، في الماء ! لا بل أغمس الشّفرة في ماء الأنا، فتتسّع البقعة الحمراء، آه يا أنا إنّهُ ذمّ الشعر مع الشعر يسيل، إنّها الشّفرة المستوردة الجديدة حادة مثل شفرة الشعر الجديد...

أوف.. ف.. ف.. لطالما حدّرتُ هذه المرأة المستلقية في قاعة الإستقبال، تقلّم أظافرها طول اللّيل وتطليها طول النّهار، وتنتظر ضيفا لا يجي....

لطالما حدّرتها من إنلاف قطعة الشبّ، التي أحفظ بها.

أنت.. يا امرأة.. أين قطعة الشبّ، التي كانت هنا ؟

- لا أعلم.

- أين لفافة القطن التي كانت هنا ؟  
- لا أعلم.

- أين قارورة العطر التي كانت هنا ؟  
- لا أعلم.

- أين زجاجة الكريم التي كانت هنا ؟  
- لا أعلم.

- أرجوك، هات قليلا من البنّ أكفِكْ به دمّ وجْهي  
- لقد نفذ منذ حين، وضعتُ ما تبقى منه في قهوتك الفائرة.  
- آه.. فورَ الله رأسكِ يا حرمي المصون.

قالها وأسرع بإقفال الباب على نفسه من الداخل.

كان أكره الأشياء، عنده الوقت الذي يمضيه أمام المرأة يحلق لحيته. لم يصدق جاره سي المحسن بن... هذا المتصوّف صاحب المكتبة المجاورة، عندما قال له بأن ابنه الطبيب لا يتجاوز البضع دقائق في حلق لحيته بالأداة الكهربائية المستوردة من أمريكا.  
آه ياسي المحسن بن، إنّ الشفرة الأمريكية قد حصدت كل شيء !!

ها هي الخامسة تفوت والأكيد أنهم قد بدأوا يقلقون لتأخيري ولو لم أصطحبك إلى معرض الكتاب هذا الصباح لكنّ حلقتي لحيتي ولكن..

اللّعة هذا الدمّ لا يجفّ وقد لظّح رقبة قميصي الذي اشتريته لهذه المناسبة رغم ثمنه الباهض، وهذا الموعد الشعري يسقط من يدي، وهذه ثقفتي في أنتظاري على عتبة باب الدار لأوصلها في طريقي إلى المدرسة، أكاد أصرخ أكاد أجنّ أكاد أمزّق الثوب الجديد.. يكاد يقتلني الغُلب.. سامحني ياسيدي عبد الوهاب بو... أنت تعلم أنّ لي شعور رهيف، لكنني لا أحتمل هذا النزيف.

... لا.. ياسي لحبيب مر... لابدّ أن تتجلّد بالصبر عند الشدائد، توخّد بالله. فأنت لها..

تبسم وهو يتذكّر كلمات جاره سي المحسن بن... وشعر برغبة جامحة في لقائه هذا المساء رفقة المعجبين، ولكن أترامهم ينتظرونه وإن تأخّر عن الموعد بقليل، نعم لابدّ أنّهم سيخلقون الأعذار له ولن يغادروا، بل سيعتصمون بالقاعة حتّى يأتي وينش قَلَقَهُم بجمال شعره العجيب.

غسل وجهه، أمسك بالمقصّ وجعل يشدّب شاربته الطويل والعريض تارة من اليمين وطورا من اليسار إلى أن أتى على طرفيه، فصار برّبع شارب، إحتقن وجهه وجحظت عيناه في المرأة وهو يسبّ نفسه وشفرة الحلاقة ويلعن المقصّ، الآن ماذا يقول للأصدقاء وللصديقات الجميلات ؟

ماذا يقول للمعجبين والمعجبات ؟ لقد فات الأوان ولا بدّ أنّ صاحب الدّعوة قد شرع في الإعتذار، فكيف يقابلهم برّبع شارب بعد طول انتظار !

عاد يخفف الشعر مرة أخرى في محاولة يائسة لتنظيم شاربته من جديد، إلى أن صار شبيبها يهتلر آخر يطلع نفق التاريخ. يؤدي التحية للشباب والأدوات ثم يقطب جبينه ويهتف بصوت عالٍ تنصدع له المرأة : «هاي هتيلر»، بينما رغبة معجون الحلاقة تزداد.. وتزداد.. وتتسع رقعتها في حوض الماء، ثم تسيل على الأرض لتجرف كل شيء. فيطلع الجنود الألمان من البالوعة واحدا.. واحدا.. مخذولين، متهاكين يجرون المدافع والعلب والفرشاة وبقية المعدات !

يمشون بسرعة بطيئة جداً وسط الرغبة والصايون، تطاردهم أشباح المحرقة وحلف الهزيمة الملعون، ها هم يسقطون الواحد تلو الآخر من فرط البرد وانهيار التلوج، أه يا هتيلر، لقد تجمد كل شيء، وخسرت الموعد المنتظر فلا نصر لك بعد اليوم أبدا، هاي هتيلر..

ساد السكون ورن صوت زوجته المصون ضاحكا من غرفة الإستقبال مفعما بالهزم والإزدراء : «هاي هتيلر.. باي هتيلر.. لقد جن الرجل المسكين..» كاد أن يشتمها ويشتم الشفرة النازية والمقص الدكاتوري لولا أن انتبه إلى طرق قوي على باب الدار : «يا سي لحبيب مر... يا سي لحبيب مر...»

أجيب... لا أجيب... بل أجيب بصوت خافت يغور في صدري : «لقد كان هنا منذ حين... ولكنه ذهب مع الجنود المهزومين إلى الجحيم...» استمع إلى حرمة المصون وقد غادرت غرفة الإستقبال بعد طول انتظار. فتحت الباب وهي تشر طفلتها التي تخلفت عن موعد المدرسة ثم قالت : «لا بأس يا سي المحسن بن.. لا بأس..»

تناهى صوت الرجل التقى إلى مسانعة مثقلا بالحنينة والأسى : «ياملاً نهار على عمارة.. جارنا محمود النجار ولدوا صوابوا انقصت.. كلاتهم الماكينة.. يالطيف.. الولد مازال كي جاء من مدرستوا.. جابفضية لبوة.. مايلقاشي.. يلقى مصيبة في عوضو تستنى فيه.. يكلوا من هاك الصانع المشوم.. يبارك فيك، قول لسي لحبيب يوصلو للسيبطار.. وأنال توه يشوف بوه، ونخلطوا عليه..»

عندما حاولت فتح القفل من الداخل أبي، فخلعت الباب وقفزت في لمح البصر نحو غرفة النوم.

غيرت ثيابي وألقيت نظرة سريعة في المرأة، كانت ملامحي قد تغيرت تماما بعدما أزلت كامل شبيبي، شنب الشعر والرجولة هزمت المقص اللعين ! وأنا أنظر إلى شحنتي الجديدة ابتسمت وحزنت في لحظة واحدة، تولاني شعور مبهم وغريب لا قدرة لي على تفسيره، هذا الدم الأثم مازال يقتفي أثري.. وهذه شعيرات فحولتي تسد بالوعة الحوض التي تسرب منها الجنود الألمان... أدت محرك دراجتي وكان سي المحسن بن... رفقة الطفل المعصوب اليد في أنتظاري، هذه المرة لم أفكر في موعدي المسكين مع الشعر والياسمين، ولا في الجميلات المعجبات ولا في الأستاذ عبد الوهاب بو... ولا حتى في ابنتي التي فاتها درس التدارك، فقد كنت أدفع مقود دراجتي بأقصى سرعة نحو

المستشفى، ولكن ماكدتُ أصِلُ إلى أوّل مفترق حتّى أوقفني عون المرور المتربّص بأمثالي.. يا إلهي لم أنتبه للضوء الأحمر أمامي، ثمّ إنّه يوم جمعة، موعدُ الحملة المعتاد على أصحاب الدراجات الناريّة، لطالما نجوت من مخالبتهم، أمّا هذه المرّة... طالبني الشرطيّ بالأوراق فأعتذرت لعدم وجودها بحوزتي. وسألني عن الخوذة فصمتُ ثمّ قلتُ : «مَنْ نَفْسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفْسَ اللَّهِ عَنْهُ كُرْبَةٌ، مَنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَكِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى دَرَجَتِي وَأَسْتَدْرَجَنِي إِلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ. كَمْ حَاوَلْتُ أَنْ أُشْرَحَ لَهُ حَالَتِي، وَمُصَابَ مَنْ كَانَ مَعِي، إِلَّا أَنَّهُ ظَلَّ تَارَةً يَنْظُرُ إِلَى الْجُرُوحِ عَلَى وَجْهِهِ وَرَقَبَتِي مِنْ جَرَاءِ الْحَلَاةِ، وَطَوْرًا إِلَى بَقْعِ الدَّمِ عَلَى جَيْبِ سِتْرَتِي حَيْثُ تَوْجَدُ خِرْقَةٌ لِفَتَتِ فِيهَا أَصَابِعُ الطِّفْلِ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ بِجَانِبِي، ثُمَّ هَمَسَ لِي : «أَنْتِ ضَيْفُنَا هَذَا الْمَسَاءَ..» عِنْدَمَا سَمِعْتَهُ يَتَكَلَّمُ فِي جِهَازِهِ اللَّاسْلِكِي، وَيَطْلُبُ السَّيَّارَةَ لِحَمْلِي بَعْدَمَا أَمْسَكَ بِي. أَجْهَشْتُ بِالْبِكَا، وَالضَّحِكِ هَاتِفًا : أَلَا يَكْفِي أَنَّنِي خَسِرْتُ شَيْئًا، وَدَرَجَتِي، وَمَوْعِدَ اللَّقَاءِ الْأَدْبِيِّ؟»  
ومن الغدِ قابلتُ صاحب الدّعوة مبتسما فحيّاني وأعتذر لي لأنهم بمناسبة شهر رمضان الكريم كانوا قد أجّلوا جلسة الملتقى الشعري الذي كان سيقام على شرفي !

الحبيب المرموش



ARCHIVE

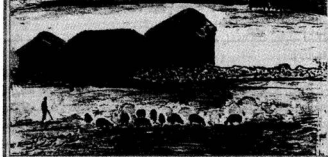
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

محمد الهادي بن صالح

الفنية (الهسة)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhrat.com>



## قراءة في البناء الروائي

بقلم : ظاهر الزاوي \*

### I - هاجس الكتابة عند إبراهيم بن سلطان :

تتسم تجربة الكتابة عند إبراهيم بن سلطان بالثراء والحيوية. وهي كتابة موسومة أيضا بالتجريب إذ أن صاحبنا يكتب للأطفال مرة وللكبار مرات وهو يكتب الأقصوصة والرواية والخاطرة النقدية، فكأنه مهووس بفعل الكتابة أو كأنه يبحث عن مكانه المناسب وسط عالمه القصصي. فهل أن الرجل سينتهي إلى الأقصوصة أم أن الرواية تسنويه أكثر ويجد فيها عالمه الأرحب ؟ سؤال قد لا يجيب عنه إبراهيم بن سلطان. لكن الأهم من ذلك أن صاحبنا يتمتع بشجاعة الكاتب لأنه ولج عالم الأقصوصة رغم تعقده إذ هو جنس أدبي مكتنر ضيق المجال واسع الدلالة قليل عدد الشغوص لا منطق يحكمه. القصة هي ميدان حر لا سببية فيه ولا حتمية بل هو تعاقب منفصل، (1) وهي كذلك. مادة موحدة لا نرى فيها مقدمة ولا عقدة ولا خاتمة وهذا هو نقيض القصة التقليدية، (2). وكاتبنا قد أبدع في هذا الميدان والقارئ لمجموعته. فجر وأحلام وأرق، (3) يلمس إبداع وقسوته على كتابة الأقصوصة.

وتبرز شجاعة الكاتب فيه أكثر في اقتحامه عالم الرواية رغم أن عالم الرواية هو عالم سحري أكثر من معقد يتطلب نفسا من كاتبها وخيالا عميقا يصمد أمام طول العمل الروائي. يقول ميخائيل باختين عن العمل الروائي : هو «جنس تعبيرى غير منته في كونه مفتوحا على بقية الأجناس الأخرى ومستمدا منها بعض عناصرها، مما جعل خطاب الرواية خليطا متصلا بمبررات تعدد اللغات والأصوات وتفاعل الكلام والخطاب والنصوص ضمن سياق المجتمعات والخطاب والنصوص ضمن سياق المجتمعات مع مجتمعات القرون الوسطى» (4).

وصاحبنا كان فعلا ابن عصره وكانت روايته الأخيرة «وردة السراب» رواية حدثاء فيها جدّة في البناء والمضمون وفيها طرافة ثارت على منطق البداية الهادئة والعقدة المشوقة والخاتمة المفرحة. بل إن إبراهيم بن سلطان قد انتبه في عالم الرواية مكانا قصيا واختار لروايته بناء قصصيا متميزا قام على منطق التوازي وعلى المنحى الحضاري المشوب بمسحة قصصية يختلط فيها الواقع بالخيال.

\* أستاذ تعليم ثانوي

## II - منطق التوازي :

استعرنا بمصطلح التوازي من علم الهندسة، ذلك أن الخطّين المتوازيين في هذا العلم هما خطّان متقابلان لا يلتقيان عند نقطة ما، والمتأمل في البناء الروائي لـ «وردة السراب» يلاحظ أن كاتبها قد جعلها على شكل حكايتين متوازيتين بل قد يذهب بك الظن لحظة القراءة أنك تقرأ روايتين صهرنا في رواية كبرى واحدة، ويُلفت المؤلف انتباهنا إلى ذلك حين يستعين بتقنيات الكتابة (الطباعة)، فتكتب حكاية أولى بخطّ عادي وتكتب حكاية ثانية بخطّ مفخّم، فما هي وجوه الاتفاق ووجوه الافتراق بين هاتين الحكايتين التّوأم؟

أ - **الحكاية الأولى** : هي الحكاية التي كتبت بخطّ عادي وتدور أحداثها في الثمانينات وتحديدا في السنة التي تغيّر فيها الحكم السّيّاسي بتونس فقد جاء في الصفحة 61 ما يلي :

« أترى مرّت أيام القهر ؟ لأن لنا أن نستريح ونعانق أحلامنا ؟

ثم وردتني رسالته من منيرة :

«تونس في ..... 198

صديقي هشام :

لقد رحل الكابوس !،

والشخصية المحورية في هذا الحكاية هي شخصية هشام - هذا الذي يتحدث الراوي باسمه - ويتتبع تجربته في المملكة السعودية تتبعاً دقيقاً منذ لحظة وصوله، يقول هشام في الصفحة 9 : «... كاد الليل ينتصف حين أقلتني مع غيري من المعلمين طائرة «جمبو» ضخمة رصاصيّة اللون تقطع جوانبها خطوط بيضاء وخضراء تتوسطهما نخلة وسيفان متقاطعان.. ويخوض هشام التجربة هناك قاسية بطيئة تدوم بمنطق الزمن عامين ولكنها قد تدوم بمنطق بآخر أكثر من عامين وأثناء ذلك ينقل لنا مشاهداته في هذا البلد العربي الذي يدين بالإسلام، ليعود في نهاية الحكاية إلى وطنه الحبيب فينتهي القارئ إلى حيث انطلق : في تونس، في المطار تحديدا.. فهذه الحكاية تأخذ شكلا دائرياً حيث تعود الأحداث إلى نقطة الانطلاق.

ب - **الحكاية الثانية** : وهي الحكاية المكتوبة بخطّ مفخّم بطلها هشام أيضا الذي ينطق السارد بلسانه، وهي أيضا حكاية لا تختلف عن الحكاية الأولى من حيث بناؤها (وصول إلى فرنسا - نقل للملاحظات وخوض للتجربة - عودة إلى تونس). ولئن كانت علامات الاختلاف بين الحكايتين كامنة في المكان فهي أيضا نابعة من اختلاف الواقع السّيّاسي الذي عاشه كلّ من هشام 1 وهشام 2، إذ تدور أحداث الحكاية الثانية في مرحلة تغيّر السلطة السّيّاسية في فرنسا، جاء في الصفحة 63 :

فرنسا ترقص على وقع الانتخابات الرئاسية... صراع بين اليمين واليسار :

- صوتوا لجيسكار

- صوتوا لميتران.



«فاز ميتران على منافسه بفارق ضئيل» ص 64 .

← اتفاق أيضا في البناء القصصي وفي وحدة الشخصية المحورية واختلاف في المكان وفي الإطار الزماني، وهذا الاختلاف هو الذي جعل الدلالات في هذا العمل الروائي تذهب مذهبا آخر حضاريا ونفسيا وإنسانيا أرادها المؤلف.

### III - تجربة الغربة عن الوطن :

«الغريب من إذا تنفس أحرقه الأسى والأسف، وإذا كنتم أكمدته الحزن واللّهف.. بقول التوحيد هذا صدر المؤلف روايته ملمحا إلى معنى حرقة الغربة وصعوبتها على الإنسان وهو بذلك يلفت انتباه قارئه إلى هذا المعنى كي يكون بوصلته أثناء القراءة. والمعنى الأول للغربة الذي يصادفنا في هذه الرواية هو المعنى الاصطلاحي المعروف أي البعد عن الوطن والأهل ولكن هذا المعنى تتولد عنه أشكال أخرى للغربة التي عاشها هشام في الشرق أو في الغرب.

لقد كانت تجربة هشام في «آم الدوم» بالسعودية تجربة مريرة مليئة بالكبت والحرمان والهواجس والاضطراب. جاد في الصفحة 114 :

... - هشام ! هشام !

كان ماجد. تعانقنا، سألتني عن تجربتي فحدثته عن الغربة والحرمان... كما ورد بنفس الصفحة قوله : «أفقت من نومي مرأت عديدة مرعوبا ظانًا نفسي بأمّ الدوم.. فأمّ الدوم أصبحت بالنسبة إليّ مكانا مرعبا لأنها الحكان الذي مثل له معاني الغربة مجتمعة ولعلّ من أهم هذه المعاني معنى الكبت. خاطب هشام صديقه المغربي عزيز :

... أكانت ليبتك رائقة اجتلاها؟

فتأوه :

... لقد دمرك الكبت! ص 66

ويتحوّل الشعور بالغربة عند هشام إلى حالة شعريّة مشحونة بالأسى والتألم، يقول في الصفحة 143 : «تحنّنت وأنشدت :

تمرّ الشهور

وراء الشهور

وأنت غريب بهذي البلاد

وتذوي زهور

وتتمو زهور

وتمضي عصور دهور

وأنت وحيد

بهذي البلاد،

إنّ غربة هشام في أمّ الدوم قد جعلت استيعابه لمعنى الزمان مختلفا، فعاما مكنهما هناك تضخّما في داخلها ليصبحا دهوراً عصوراً.

من المؤسف حقاً أن يعيش رجل عربيّ مثل هذه الحال وأن يحسّ بعيق الغربة في بلد عربيّ يدين بالإسلام وينطق بالعربية، ولكنه الواقع المعيش والواقع الحضاريّ المتخلف والمتأخر الذي يتخيّط فيه الشرق عموماً. لكنّ المتأمل في التجربة الموازية أيّ في فرنسا يلاحظ أنّ الشعور بالغربة فيها هو أقلّ وطأة بل هو باهتٌ الحضور لا نكاد نحسّ به لأنّ فرنسا هي البلد الغربيّ المتقدّم الذي يؤمن بالحرية والمساواة وبقية الإنسان كائن يحبّ ويتألم، فالمؤلف هنا يعيش أزمة المثقف الذي أحسّ بشساعة الهوة بين العالمين وهو يذكرنا ببعض مفكرّي النهضة. لذلك لا يستغرب القارئ حين يجد مقارنة بين السعودية وفرنسا في عدّة مجالات منها :

\* الثقافة : ص 129 : مشاهدة أشرطة فيديو خلسة ≠ قاعات السينما.

\* السلوك الحضاريّ : ص 132 : الطابور وعدم احترام النظام ≠ شدة احترام النظام والوقت.

\* العادات والمناسبات : ص 141 : الاحتفال خلسة بحلول السنة الميلادية ≠

الاحتفال به في فرنسا.

المثقف العربيّ غريب عن واقعه وعن أمّته وغريب عن الآخر، غريب في مستوى المكان وغريب في مستوى الحضارة. لذلك يعود هيثام في الحكايتين إلى وطنه في آخر المطاف. فهل أنّ إبراهيم بن سلطان من المؤمنين بأنّ الرجوع إلى الأصل فضيلة وأنّ الإنسان لا حضن يؤويه غير حضن وطنه؟؟..

لقد هاجر صاحبنا ليحقق أحلاماً مختلفة ، التجربة - الزاد المعرقي - المال... لكنه فشل في قطف هذه الأزماء، فعاد إلينا بـ "زهرة السراب"، تجربة ملموسة ورواية مكتوبة. يقول في ص 155 : «عاودني كابوس سابق... ها أنذا بإحدى الفياقي أنوغل فيها وحيدا والشمس نار تشوي والأرض تحرق، الصّهد، العطش، أتقدّم، أحدد البصر.. هناك بعيدا، يبدو الماء عذبا ررقا، زهور تتراقص وورود تتمايل وسط الماء... سأصل، سأشرب، سأرتوي.. سأقطف زهورا، أدنو والماء ينأى والزهور والورود تبعد، ألتهث.. وأفيق من نومي فإذا أنا في شقتي....»

— خلاصة القول إنّ «وردة السراب»، رواية لها فضائل عديدة فهي حقاً رواية حديثة وهي رواية أحسن صاحبها الاستفادة من تقنيات العصر في مستوى الأسلوب وفي مستوى الطباعة وفي مستوى طرق الموضوع ليضيف إلى الرواية التونسية رواية متميزة جمعت بين التجربة الذاتية والموضوع الحضاريّ الضخم في أسلوب طريف فكه أحسانا.

ظاهر الزاوي

المراجع :

(1) عز الدين المدني ، في الأدب التجريبي، ص. 54 - الشركة التونسية للتوزيع

(2) نفس المرجع.

(3) دار صامد للنشر والتوزيع - صفاقي - تونس

(4) الخطاب الروائي : ترجمة : محمد برادة

## الفرّ والسياسة في كتابات «بوراي عجيّة» القصصيّة

بقلم : محمد بن زويتنة

في رحلة بحث واستقصاء، عن غُرر أدبيّة ننتقيها للنظر فيها تحير الفكر وتاه الدليل لما توفّر بين أيدينا من إبداعات حفل بها الأدب التّونسي وأضاءت مسيرته، وقد استوقفتني وأنا بصدد التخيّر مجموعتان قصصيتان لقصاص واحد هو الكاتب بوراي عجيّة وهما، أمواج الغضب، (1) و، خفايا الزّمان، (2).

صحيح أنّ تناول مجموعتين قصصيتين في آن واحد على غاية من العسر لما يفرضه من منهج دقيق وما يشترطه من تسلّح بجهاز معرفي وبيداغوجي محكم. ولكن هذا ينسحب - حسب رأينا - على كلّ من يروم النّظر في المجموعتين وفي كلّ الأقصوصات دون استثناء. ليدرس الأساليب والمضامين والأشكال في أدقّ دقائقها، ولما كنّا نتخيّر بعض النّماذج من المجموعتين لما من شأنه أن يخدم موضوع بحثنا فقد اهتممنا ببعض الأقصوصات ولم نعتد البعض الآخر. ولا يبدو موضوع الحديث غريبا إذا قرأنا الكتابين، إذ يتبيّن أنّ هناك شواغل كانت تجيش بها ذات المؤلّف، تعتمل في صدره، ويودّ الإفصاح عنها، ولما كانت الوسيلة الوحيدة الممكنة هي الكتابة الأدبيّة فقد أقبل عليها الكاتب بكلّ شراهة ونهم. أخذ يعصر الفكر وينتقي أجود العبارات ويبني الفكرة على الفكرة، حيث الخطو يسعى إلى التأسيس وبناء، صرح إبداعيّ أدبيّ يستمد مشروعيّة وجوده من المجتمع وخبائاه... وللمجتمع في كتابات الرّجل أهميّة بالغة لمشاكله العديدة أوّلا ولتلوّنه بألوان عديدة من الطّبائع البشريّة ثانيا... لذلك مثلت قضاياء هواجس المؤلّف التي تشرّبها، فراح يتحقّس مواطن خلله وخبايا آلامه واشتدّ إقباله على ذلك فلم ينفر منه ولم يتنكّب عنه ولم يهجره إلى مجالات أخرى إلّا لماما بل أراد أن يكابد ويبحث وأن تتقاذفه الهوموم ليرى لنفسه وجهها لوجه من خلال مرآته. فالشّواغل الاجتماعيّة هي لبّ النّصوص القصصيّة في المجموعتين، مبنوّة على امتداد الكتابين وفي مجملها، تعكس وعي صاحبها بقضايا تنخر كيان المجتمع وتهدّد نسيجه... كلّ ذلك يتغلّى من صور ولوحات على غاية من الدقّة في النّقل والوصف...

إنّ الإحساس بهوموم المجتمع، هو عنوان الوجود والحياة فلا غرابة إذن أن نجد «بوراي عجيّة» يطرح أمامنا مجتمعه ليعرض مواطن الخلل فيه بغية إجتثاثها

(1) أمواج الغضب : مؤسّسة سعيان للطباعة والنّشر . سوسة تونس الطّبعة الأولى فيفري 1992 .

(2) خفايا الزّمان : دار سجر للنّشر تونس - الطّبعة الأولى جانفي 1997 .

واستئصال ورمها. وسنحاول بدورنا أن نجثث مشاغل الكاتب لا من المجتمع وإنما من الكتابين.

\* \* \*

**الفقر :** الفقر قضية من القضايا الاجتماعية التي تدعوك للتفكير لا فيها وإنما في طريقة صياغتها والتعرض لها فبواسطة عدسته الملتقطة لمكونات المكان وبفضل عالمه، الفني، قدم لنا المؤلف هذه المشكلة في أقصوصة، ثمن القفّة، (3) التي طرحت حكاية المرأة التي دفعتها الظروف القاسية للخروج من بيتها للبحث عن عمل. وفي أول رحلة اصطدمت بشاب كفيف وجدت عنده ضالتها المنشودة أي العمل لكنها في المقابل انغمست معه في الحرام، أو العيب، كما سمّاه يوسف إدريس فتفتنت في إنجاز العمل وتفتن الشاب في ترويضها رغم كونها امرأة متزوجة على أبواب طلاق وأم أطفال ينتظرون عودتها من العمل..

ونفس المشكل الاجتماعي يُطرح في الكتاب الثاني في أقصوصة، أقدام في الوحل، (4) إذ انطلق المؤلف يرسم لنا شخصية تعيش على تتركة القطط في المزابل، إنها شخصية واحدة لكن المؤلف أو الكاتب سرعان ما يخرج بنا من حيز الفرد إلى حيز الجماعة فيوجد للفقر الواحد نظائر أو نسخا عديدة تجوب الشوارع تدفعهم ظروفهم كلهم ليشاركوا مع الكلاب والقطط في مأدبة القمامة وأكوام الزبل.

**الغربة :** إن الحديث عن الغربة وجه من وجوه بحثنا في مشاغل الكاتب وهي قضية أخرى تتفجر من رحم إبداعاته ويبدو أنه قد ضاق ذُرعا بالغربة الفكرية والثقافية معا، وقد لا نجانب الصواب إن قلنا إن الغربة عنده أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند، كما قال الشاعر طرفة.

ويتوضح الأمر بجلال كبير في المجموعتين على حدّ سواء، إذ جاء الحديث مفصّلا عن مكابدة الذات آلاما متعددة... ففي أقصوصة، النورس، (5) التي تصدرت المجموعة الأولى نجد غربة وافتقادا، غربة في ظلّ عزلة، شاب، عن عالمه بعد افتقاده صاحبه الذي فتحت له ديار الغربة ذارعيها وأخفته سنين طويلة... ولئن بشرّ الكاتب بعودته فإننا لم نلمس ذلك فعلا ليظلّ حوار الذات مع ذاتها في انتظار توأم روحها أملا يرجو الكاتب تحقيقه على أرض الواقع...

أمّا في المجموعة الثانية فنجد، غربة، فعلية، غربة حتمت على صاحبها أن يصدق بدواخله ويكشف عن نفسه من خلال كتابة نصّ قال عنه إنه، سيكون رغم عسره أصدق نصّ كتبت وأغنى حوار أجريته مع الذات ففيه وضعت الكيان على الراحة وشرعت

(3) خفايا.. ص 17 .

(4) أمواج.. ص 45 .

(5) المصدر نفسه، ص 5 .

أصوره، وفيه وقفت أمام مرآة حقيقتي وأخذت أحدد ملاح نفسي وخبايها،(6). هذا الكلام وغيره الذي نجده في تلك الأقصوصة خصوصا يكشف عن حاجة الكاتب للتعبير عما يعيشه طالما أنه فرد منعزل وسط مجموعة تألفها الظاهري قد لا يعكس في الحقيقة تألفها الباطني.

ولعلنا نستشف الوجه الثاني للغربة، والغربة الثقافية، من خلال موقف طريف، يستمد طرافته من طريقة صياغته إذ كشف عن تعلق الكاتب بفنّ أصيل اندثر في خضمّ هذا العصر وفي خضمّ هجرة جماعية نحو فنّ هذا العصر. ولعلّ حضور البطل في قاعة العرض بمفرده وجه نقيم عليه دليلنا. إنّ أقصوصة «باقة أغان» (7) اشتملت صفحة واحدة فقط لكنها كانت كافية رغم قصرها لتقدّم لنا موقف المؤلف وهو يستمع إلى «أهات ومواويل وأغنيات قديمة» (8) انتشرت لها النفس ورفرفت. وتساءل في حيرة: «أما زال يوجد اليوم من يؤمن بالفنّ الغالص ويهواه إلى حدّ التماهي والانصهار» (9) فمن خلال هذا النصّ القصير يبدو الكاتب كأنه الوحيد الذي مازال محافظا على ذوق أصيل طالما أنّ الذوق العام قد أفسد وحكم عليه بالانسياق وراء موجات من الرّداءة جرف تيارها معظم الأذواق.

السياسة: السياسة قضية جوهرية في كتابات بوراوي عجيبة، فهي من القضايا التي يثيرها بجرأة وفطنة غير خافيتين ولهذا فضلنا الإبقاء عليها آخر مبحث في عملنا. وستتوسع في الحديث عنها بعض الشيء، للنظر في مواطن الجرأة وتبيين مراكز الفطنة... كما لا يفوتنا أن ننبّه إلى أنّ الكاتب يعرض للمسأل بطريقتين اثنتين حسب القضايا المطروحة.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>  
أما الطريقة الأولى فهي ما يمكن أن نسميه بطريقة الفناع أو التقيّة وأما الطريقة الثانية فهي تعتمد على المباشرة والتصريح بلسان شخصيات قصصية إنسانية متجذّرة في واقعها...

يتحدّث المؤلف في حوار أجري معه عن ثنائية التقيّة والتصريح أو التعبير المباشر والتعبير الرّمزي فيبين أنّ الغاية من استلهاه الحيوان قد يكون للتقيّة ولكنه يستخدم الشخصيات الإنسانية أيضا فيقول: «... أما قضية التقيّة أو الهروب من سلطة الرقابة فلا عرو أنّ ذلك وارد فعلا لكنّ هذا المظهر وحده لا يفسّر لجوئي إلى استخدام قناع الحيوان لأنني عالجت ما يشبه تلك القضايا الرّمزية على لسان شخصيات قصصية إنسانية أيضا...» (10) ولنا أن ندعم قوله ونستدلّ على وجهة موقفه بتبيين هذين الضربين من التعبير ومختلف القضايا التي يثيرانها...

(8) م. ن. ص 121 .

(9) م. ن. ص 121 .

(10) مساواة نقدية بوراوي عجيبة منشورات سعيدان. سوسة تونس 2001 ج 2 ص 413 .

لقد استلهم «بوروي عجيبة» من موقع الفنان المهتم بفنّه والمتشبع بترائه والمتشرب لغة سابقيه.. استلهم الحيوان واستخدمه وسيلة أو قناعاً وراءه. توارى وبه تستر للإدلاء بقضايا سياسية ميّزت عصره من موقع الناقل البري. فلجأ في مجموعة «أمواج الغضب» إلى السرطان والجردان فأنطقها وكان متحكماً في ما أنشأ وحرك ومثل به رموزاً لأفكار مجردة من قبيل الاعتداء والظلم وبسط النفوذ وفرض السلطان. ونجده في مجموعته الثانية «خفايا الزمان» توسّل بالذنب والصّرار ليكونا بدورهما رموزاً لأفكار مثل الوفاء والتحيّل أو الخداع. فترى الحيوان يتقلّب ويكتسب قيماً متناقضة ظاهرياً وباطنيّاً هو منها برا. إذ لا يعدو أن يكون مجرد قناع أو تقيّة لفكرة أصلية متوارية تسكن تلافيف ذلك الحيوان. والتقيّة لئن تبطنّت على جرأة فإنّها لا تعدو أن تكون نسبة لأنّ هذه «الخطّة الأدبية» تعود جذورها إلى جنس أدبي قديم هو المثل الخرافي كان عرفه العرب وأبدعوا فيه أيّما إبداع ولنا في كتابات «ابن المقفّع» في كليله ودمنة خير شاهد ودليل. ولكنّ الجرأة تبدو أكثر جلاء في استغلال الشخصيات الإنسانية التي لجأ إليها الكاتب في الأثرين على حدّ سواء. وهي شخصيات ربّما عاصرت الأوضاع فعلا وليس هذا الهامّ وإنّما الأهمّ تولّيها التعبير عن مختلف القضايا السياسية... فهذه مجموعة «أمواج الغضب» تكشف عن جلاء الموقف في أقصوصة «الآحية والمقصّ» التي تقدّم صورة حيّة لثلاث حبات من المرجان انفرط العقد الذي كان يشدها إلى بعضها فتناثرت. على شاطئ الحياة كلّ حيّة مضت في سبيلها... وظهرت الأقصوصة كاشفة عن معاناة ثلاثيّة الأبعاد تقفوت درجات البطولة لدى شخصياتها الثلاث، فصاحب الآحية الحمراء انتهى به القرار إلى السجن وصاحب الشارب المشدّب أنهكته متاعب الدراسة والشّهائد لكنّه أولاً كل اهتماماته وصاحب الوجه الحليق خلع سترة كانت تكسوه لمّا كانوا ثلاثة وارتدى أخرى سارعت به إلى قطع الودّ مع ثاني الشخصيات فانفصل عنها ليذهب كلّ في سبيله.

ويزداد الموقف تجليّاً في مجموعة «خفايا الزمان» التي كانت محمّلة بالآراء. فنقلّت من موقع المشارك حيناً وصوّرت من موقع الرّاصد لا غير حيناً آخر فامتزجت فيها الرّؤية وتعدّد المناظير من رؤية مصاحبة إلى أخرى من خلف إلى ثالثة خارجية أو من الخارج كما تسمّى عند بعضهم.

وتبدو أقصوصة «المسافر والقارورة» (11) ثريّة جدّاً بمواقفها ولا نستغرب أحداثها طالما أنّ المسافر حاضر وناقل سواء. لما جرى للعجوز الواضعة خمّاراً على رأسها أو للكهل الملتحي الذي ذكره بثلاث لحى تعرّضت لمشاكل عديدة بسبب الإبقاء على تلك الشّعرات على الوجه. فالآحية أصبحت في هذا الزّمن مصدر ريبة وشكّ لمن يحملها وبلاء. والويل لمن أصرّ على إبقائها دون حلق (12) والكهل الملتحي يحمل دليل

(11) خفايا... ص 67 .

(12) م. ن. ص 70 .

إدانتة على وجهه ولكنه استطاع النجاة بفضل قارورة حمراء كانت مغطاة في أسفل القفّة التي يحملها لما كشف عنها برأت ساحتة. وسواء اقتصرنا في نظرنا على أمثلة أصحاب اللّحي أو الكهل صاحب اللّحية والقارورة، فإنّ الموقف واحد وهو إبراز سياسة أو موقف كان يسلّط على الشعب في زمن مضى وانقضى، وعلى كلّ حال فالدّعوة إلى الحفاظ على أناقة الوجه وصفائه، بإزالة اللّحي قرار من سلطة عليا لا من المؤلّف الكاتب الذي اكتفى بالكشف عن واقع مؤلم يعرفه القاصي والداني.

ولا نغال المطلّع على محاولتنا إلّا نافذ البصيرة واسع الفهم لا يحتاج إلى مزيد من التحليل والتفصيل... وإذا دفعنا بموقفنا قدما واعتلينا به أكثر فالأمور تلوح واضحة في باقي الأقصوصات وبإمكان القارئ - إن كان يداخله بعض شك وريبة - أن يتطلّع على الشّيخ والورقة الطائفة، أو على جدار مقبرة، أو حلم في الطريق، أو رياح الزّمان، فهي في مجملها تحمل الوجه الثّاني للسياسة أي الوجه الخفي منها والحقيقي لها في آن وما الظاهر إلّا زيف وخداع واستبلاء للشعب.

\* \* \*

هكذا إذن نكون قد حاولنا أن نكشف عن أهمّ مشاغل المؤلّف في المجموعتين معا، وأن نستجلي همومه من خلال إثارة قضايا الفقر والانتصار للطبقة الكادحة ومن خلال إثارة المسائل الثقافية التي يبدو أنّها ساءت أكثر من اللازم في نهاية القرن العشرين ومن خلال إثارة قضايا سياسية هامة أقرب فكره وخفقت أنفاسه فعبّر عن كلّ ذلك بشجاعة وجرأة وفطنة...

المجموعتان إذن أغنتهما الشواغل إغناءً فريداً فقد ألفينا المؤلّف يكتب المجموعة الأولى ويردّدها بثانية عائداً إلى بحر الكتابة ولجج الحروف، ليثبت إنسانيته ويحارب الموت ويهزم العدم ويرسم غضبه رسماً فنياً ويصوّر ما يتبطّن عليه هذا الزّمن من خبايا وعجائب ليبعث الوعي في الجميع حتّى تشعّ بوادر الإصلاح والتغيير ويملاً نورها الوجود وهو يرّدّ، انهضوا، لعلّ القادم أفضل!

محمد بن زويتينة

حيدر القادر من الأساطير

# عجمية



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قصص